الكتاب العربي ٩

ان أول ما ينبغى أن نفطن اليه هو أن الكتاب ليس – ولا يمكن أن يكون – مجرد وعاء تصب فيه الافكار والمعارف والخبرات ، ذلك لانه فى جوهره اعظم وسائل الاتصال بين الجماهير والاجيال . ولقد حاول بعض فلاسفة التاريخ المحدثين اماطة اللثام عن العوامل التى تنزع بالانسان الى الوحدة ، فوجدواأن مراحل التطور فى حياة الانسان يمكن أن تنقسم الى مرحلة الكلام ومرحلة التدوين ومرحلة الطباعة الآلية الحديثة التى يمثلها الكتاب أعظم تمثيل . ولا يزال الكتاب فى مكان الصدارة بين وسائل الاعلام الحديثة لأنه يفضل الكلمة الملفوظة والصورة المرئية بقدرته على التنقل والبقاء وقابليته للتحول من لغة الى لغة أخرى .

ولقد أحس الشعب العربى بأن المعركة التى يخوضها ضد قوى الاستعمار والاستغلال ، انما هى جزء لايتجزأ من معركة الانسان فى سبيل التقدم والرفاهية ، ولقد برزت هذه الحقيقة بروزا لايكتنفه الغموض أو اللبس ، ومن هنا التقت الجهود المبذولة لتحقيق انسانية الانسان فى جميع الربوع والاوطان : التقى المجاهدون العاملون على تحرير الارض بالمجاهدين العاملين على تحرير الارادة الانسانية .. لقد أصبحت الحرية واحدة .. حرية الوطن وحرية المواطن .. أى وطن وأى مواطن . واذا كنا نخوض معركة المصير العربى فاننا انما نخوض فى الوقت نفسه معركة المصير الانسانى مع الشعوب المتحررة ومع الشعوب التى لاتزال تناضل فى سبيل الحرية فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ، وهى معركة تستوعب النضال من أجل الحق والعدل وتلتقى مع معارك النضال التى تنزع الى التخلص من العنصرية فى كل مكان .

ولقد كان من الطبيعى ان يستجيب الكتاب العربى لهذه الحركة التاريخية الانسانية المجيدة التى يتسم بها عصرنا . ومن اليسير على مؤرخى الاجيال القادمة أن يرصدوا قوة هذه الاستجابة من الكلمة العربية المطبوعة التى لم تعد مجرد شعار أو لفظ ، وانما أصبحت تجسم موقفا وتعين على حركة . وأضحى النزوع الى الوحدة الانسانية يستوعب تحقيق انسانية الانسان وكرامة الضمير الانسانى دون اعتبار لجنس أو لون او لغة او دين .

ولم يعد هناك شك فى ان معركة المصير اذا كانت قد أظهرت الجوهر الانسانى العظيم للشعب العربى الذى أسهم فى التاريخ وفى الحضارة ، فانها قد اذكت الوجدان القومى بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ العربى بأسره .

وكل من يحاول أن يصنف الكتب العربية التى ظهرت فى هذه المرحلة الاخيرة ، يجد الوعى بأبعاد معركة المصير ، فقد اختفت أو كادت تختفى النزعات السلبية ، وتبددت الاوهام التى روجها الاستعماريون عن فطرة الشعب العربى وعن قدرته وعن تراثه ، واقتحم الفكر العربى مجالات كانت موصدة دونه فى العلم والتكنولوجيا والتعبير ، وتجمعت عناصر التراث العربى بعد أن كانت مفرقة ومبددة ، وأدرك المواطن العربى

معركة المصير

بقلم : دكتور عبد الحميد يونس

مكانه من الحياة ومن الحضارة ادراكه لمسؤوليته العربية والانسانية فى تقدم الحياة والحضارة ، وصحت عنده المفاهيم ، واسترجع ارادته وبعث طاقته على الحركة والعمل والتقدم ، وميز بين الصحيح والسقيم وبين الصادق والكاذب وبين الاصيل والزائف ، كما ميز فى مجال الفكر والفن بين الايجابى والسلبى ، وعرف وهو يخوض معركة المصير بجميع أبعادها وأسلحتها الاصدقاء والاعداء . ومن القصور أن نتبين الملامح القومية منعزلة عن المضامين الانسانية ، ومن القصور أيضا أن نتصور الكتاب القومى وعاء مقصورا مقصورا على التراث الوطنى بمعانيه الضيقة أو المتسعة .. ذلك لان المعركة قد أكدت وحدة التجربة الانسانية الصحيحة ، ووحدة التقدم الانسانى الصحيح .

ان الكتاب العربى من أمضى أسلحة المعركة ، ولعله أمضى هذه الاسلحة فى جوانبها النفسية والفكرية والفنية . انها حقيقة يعرفها اليوم كل صاحب قلم ، وكل من يريد أن ينقل المعرفة والخبرة الى جيله والى الاجيال التى تكر بعده . وجميع أصحاب القرائح المعبرة يدركون قيمة هذا السلاح ، وبخاصة فى الحرب النفسية التى يتعرض لها الشعب العربى ، والتى يشنها عليه أعداؤه فى معركة المصير .. وهكذا تتضح مسئولية الكتاب العربى فى ابراز الجوهر الانسانى للشعب العربى والمكانة التاريخية والحضارية التى أحرزها ، وفى تأكيد الوحدة القومية المستكملة لجميع مقوماتها حتى لا ينفذ العدو الى الفكر العربى والارادة العربية ، وفى توضيح الهدف الذى تكافح من أجله الجماهير العربية ، وفى التعريف بأساليب النضال على اختلافها . وهذه التبعات جميعا انما تصدر عن ايمان بالحياة ووثوق من النصر .. على الكتاب العربى أن يذكى فلسفة التفاؤل ، وأن يقضى على ما بقى من رواسب الاوهام والاباطيل .. على الكتاب العربى أن يتابع مراحل المعركة عمقا وشمولا ، ولا يشك أحد فى أنه قادر بفضل وضوح الحقائق وايمان الكتاب بأنه كفء لاحتمال هذه المسئولية .. كان كذلك – الى حد كبير – وسيكون كذلك الى أقصى حد.

و« مجلة الكتاب العربى » ، ادراكا منها لجميع هذه التبعات قد اعادت النظر فى خطتها ، وستواصل سيرتها بحيث تصبح جهازا يقوم بالتخطيط والرصد والتقييم جميعا .. ستصدر المجلة فصلية حتى يتاح لها أن تقدم الى قرائها ثمرات المطابع العربية ، مصنفة ومقومة ، ولن تتخلى عن وظيفتها فى تعريف الكاتب العربى بما يصدر له وعنه باللغات الاخرى .

وليس من شك فى أنها بذلك تعين على شمول النظرة الى الفكر العربى ، والتعبير الادبى العربى كما أنها ستكون عونا للمتخصص فى فرع بعينه من فروع المعرفة . ولا يسع أسرة التحرير الا أن تتقدم بالشكر الجزيل الى القراء الذين احتفلوا بها ، والى الكتاب الذين أمدوها بآرائهم ودراساتهم . ولن يبخل أولئك وهؤلاء عليها بالفكرة الصائبة والرأى السديد فى ثوبها الجديد وخطتها الجديدة .

د . عبد الحميد يونس

الثورة والتنظيم السياسى

تأليف : دكتور جلال يحيى
عرض ونقد : سيد حامد النساج

ان الناظر فى مكتبتنا العربية يلاحظ دون عناء أن بها عددا ليس بالقليل من الكتب التى تحتفل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أو تتناولها بالدراسة والتحليل . ولا شك ان طبيعة المرحلة التى يمر بها مجتمعنا فى تحوله وثوريته المتصلة والمستمرة، استلزمت من ذوى الفكر وأصحاب الرأى ضرورة المساهمة فى تعميق المفاهيم الجديدة ، وتصحيح الاوضاع ، واعادة صياغة التاريخ من جديد ، وتجلية الغموض الذى ران على منطقتنا فترة طويلة من الزمن ، ثم التعريف بالتطلعات التى يسعى مجتمعنا الى تحقيقها ، فضلا عن احساس الكتاب والمفكرين والمؤرخين بحتمية التعبير عن مجتمعهم وما يكتنفه من ظروف وملابسات ، بحكم معايشتهم للاحداث المعاصرة أولا بأول ..

هذه وغيرها من الدوافع جعلت مكتبتنا العربية تزخر بالكثير من المؤلفات التى تدور حول ثورة يوليو العظيمة ، بحيث يمكن لأى باحث ان يصنف تلك المؤلفات ويقسمها الى قسمين رئيسيين : الأول : يستهدف التعريف بالثورة المصرية ، وخصائصها ، وأهدافها ، ومبادئها ، والاسهامات التى اسهمت بها فى شتى الميادين ، ومختلف المجالات . وذلك فى ايجاز شديد ، والمامات سريعة ، لانها توجه اساسا اما الى طالب المرحلة الثانوية ، او الى الفلاح فى ارضه ، أو الى العامل فى مصنعه ، أو الى الجندى فى « المختارات » التى كانت تحرص الدار القومية



الناشر : دار المعارف ١٩٦٦
٣٣٦ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن ٦٠ قرشا

فى ميدانه ... ويبدو هذا واضحا من مجموعة للطباعة والنشر على تقديمها .

الثانى : وهو الخاص بطلبة الجامعة ، بعد أن أصبحت المواد القومية (المجتمع العربى – ثورة ٢٣ يوليو – الاشتراكية العربية تشكل جزءا من ثقافة الطالب الجامعى ، اذ لابد له من أن يستوعب المقررات الثلاثة على مدى سنى دراسته الجامعية ..

وأدى هذا الى ان تتواكب المؤلفات لحظة بعد أخرى ، بحكم أن مادة «ثورة ٢٣ يوليو» أصبحت اساسية بالنسبة لطلاب الكليات الجامعية والمعاهد العليا على حد سواء .. فنجد على سبيل المثال لا الحصر : « ثورة ٢٣ يوليو ومبادىء النظام السياسى » للدكتور طعيمة الجرف – و« ثورة شعب » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور – و « ثورة ٢٣ يوليو بين ثورات العالم » للدكتور سليمان الطماوى – و « ثورة الشعب العربى فى مصر » للدكتور محمد لبيب النجيحى – و « ابرز ملامح ثورة ٢٣ يوليو » للدكتور حسن عون – و « اليقظة القومية الكبرى » للدكتور حسن صبحى – و « ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية » للدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز – وكان مؤرخنا الكبير المرحوم عبد الرحمن الرافعى قد سبق بتقديم كتابين فى هذا المجال هما : « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو »

هي أن كلا منها يحاول فى المرتبة الاولى تبيان حقيقة هامة يتبينها الدارس لهذه الكتب جميعا، و « ثورة ٢٣ يوليو تاريخنا القومى » ... وثمة مكانة الثورة المصرية المعاصرة بالنسبة للثورات التى سبقتها على نفس التربة والبيئة المصرية من ناحية ، ثم مكانتها بالقياس الى الثورات العالمية من ناحية أخرى .. .. ولا يمنع هذا بطبيعة الحال من أنه قد يغلب على احدها الاتجاه التاريخى البحت ، بينما ينحو الآخر منحى قانونيا ، فى حين يربط الثالث بين الثورة والتكوين الاجتماعى والنفسى للمجتمع المصرى .. فلئن كان هناك اصطلاح معين على اطار عام للموضوع ككل ، الا اننا نجد أن كل كتاب يتلون ويصطبغ بثقافة مؤلفه ، وطابعه . وتخصصه ، ومنهجه فى الدراسة والبحث ...

* * *

أما الكتاب الذى بين أيدينا وهو « الثورة والتنظيم السياسى » فانه قد يكشف لاول وهلة أن صاحبه قصد به اولا وقبل كل شىء تناول جانب فرد من جوانب ثورة ٢٣ يوليو ، وانه لن يسير فى المجرى التاريخى حتى لا يتوه فى متاهاته ، وانما سوف يركز بالتحليل على ناحية واحدة هى علاقة الثورة بالتنظيم السياسى ، أو او دورها فى استحداث تنظيم سياسى ذى ملامح وقسمات جديدة ، تساير التطور الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للمجتمع الجديد . خاصة وان المؤلف ذاته كان قد سبق له ان اسهم فى نفس الميدان بدراسة تاريخية حول « أصول ثورة ٢٣ يوليو » ، ومن ثم اصبح لزاما عليه ان يقدم للقارىء المزيد من الجديد فيما يتعلق بثورة ٢٣ يوليو ، بعد أن استغرق الكتاب السابق جهد الكاتب فى تتبعه لجذور الثورة ، ووقوفه طويلا عند ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ .

كما تصور القارىء انه بصدد كتاب يعرض له اضافات جادة وموضوعية فى جانب من جوانب الثورة ، تحتاج اليه المكتبة العربية فعلا ، وربما يكون القارىء محقا فى تصوره ، لأن الكتاب الجديد يصدر عن المكتبة السياسية وفى عام ١٩٦٦ .. لكن شيئا من هذا كله لا يحدث ، وانما يفاجأ القارىء المتطلع المتلهف ببحث فى التاريخ تعلوه مسحة اقتصادية فى بعض الأحيان .. اذ أن الكتاب يدور حول المنطقة الزمنية التى تنحصر فى فترة ما بين الحكم العثمانى حتى ثورة يوليو ، اى انه يحصر بين دفتيه ثورات المصريين فى العصر الحديث ، فيما يقرب من ستة أبواب يندرج تحتها واحد وعشرون فصلا .. يدرس فى الباب الاول « الاقطاع » منذ عصر المماليك حتى دخول الحملة الفرنسية مصر . والباب الثانى يهتم فيه ب « راسمالية الدولة » وبدايتها وتطور النظام الراسمالى الى ما قبل الاحتلال البريطانى .. ثم نلاحظه فى الباب الثالث عنوان « الرأسمالية العقارية » يتناول المراحل التى مرت بها مصر حتى وقعت تحت نير الاستعمار ، فيشير الى التدخل البريطانى ، والثورة العرابية ، وكفاح الحزب الوطنى ، ودور كل من مصطفى كامل ومحمد فريد فى الحركة الوطنية . أما الباب الرابع فانه يختار له العنوان التالى :«الراسمالية المتاجرة » ، وفى فصول هذا الباب الأربعة لا يتحدث عن « الراسمالية » وانما يهتم اهتماما بالغا بعرض تاريخى للحياة المصرية فى فترة ما بين الحربين العالميتين .

وأذا ما فرغ الباحث من دراسته الاقتصادية

والتاريخية فى الأبواب المتقدمة ، يبدأ فى التقدم خطوة نحو ولوج الباب الرئيسى للموضوع الذى أقام كتابه عليه ، بيد أن الزمام يفلت منه ايضا هذه المرة ، فيتحول فى الباب الخامس كذلك الى مؤرخ تقليدى ، يجعل شغله الشاغل رص الأحداث وترتيبها ساعة بساعة ، وبأسلوب المؤرخين الكلاسيكيين ، (١) لا المحللين المفسرين الناقدين ، الذين يتناولون الأحداث والوقائع بعقلية أكثر علمية وموضوعية وتطورا .

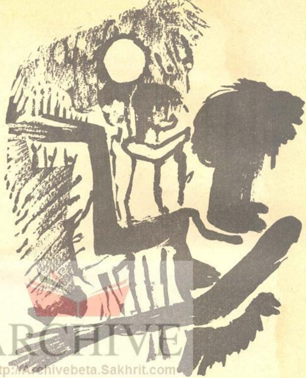
وقد نعجب اذا عرفنا انه فى الباب الخامس يقف عند ثورة يوليو هذه الوقفة التسجيلية الصرفة ، دون تعمق فيما وراء الاحداث ، وبلا تشريح للمواقف ، أو رد كل شىء الى مبرراته واسبابه ودوافعه ومحاولة ربط الاحداث المحلية الخاصة بالمحيط العربى ككل ، ثم بالسياسة والتيارات العالمية . وهذه هى مهمة الباحث ، مضافا اليها أبداء وجهة نظره فيما بين يديه من حقائق، والا فان الاصول ذاتها،أو الملخصات التى توجزها ، تكون اغنى للقارىء واسهل ، ان لم تكن ثمة أضواء كاشفة محدثة ، ونظرات تحليلية فاحصة ، ونقدات هادفة ، ولمحات ذكية . .

ولو اننا أستعرضنا النقاط التى تحدث عنها فى هذا الباب لوجدنا أنها وردت بنصها فى كتابه الخاص بـ «أصول ثورة ٢٣ يوليو» بعد افاضته فى الكلام عن ثورة عرابى وثورة ١٩١٩ ، اذ يأخذ فى دراسة « قاع الوادى » : بين بريطانيا وامريكا ، حرب فلسطين ، الكفاح ضد البريطانيين ، انهيار سلطة القصر وسمعته ... وينتقل الى « الثورة والتحرر » فيشير الى أسباب الثورة وحتميتها ، والثورة ، والجلاء . . ثم يعرض « للثورة والتحرير » وبعض محققات الثورة . وهى فى معظمها منقولة عن كتابه الذى اشرنا اليه ، فكان من الممكن — والحالة هذه — أن يحيل القارىء على كتابه ذاك ، أو أن يوجز فيه الى حد بعيد ، ويجعله مقدمة أو تمهيداً للجزء الاخير والمهم من الكتاب .

واظن ان المؤلف قد فعل شيئا من هذا القبيل فى كتاب له بعنوان «الاشتراكية والفكر الاشتراكى» حيث مهد لدراسته عن الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة بتسعة وعشرين صحيفة كان قد فصلها فى كتابيه « الاستعمار والاستغلال والتخلف » و « التخلف والاشتراكية فى العالم العربى » .

والدارس المتفحص لكتاب « الثورة والتنظيم السياسى » على ضوء كتب المؤلف السابقة . سوف يدرك ببساطة أن هذه الصفحات التسعة والعشرين ليست الا الأبواب الأربعة المتعلقة بالاقطاع ، ورأسمالية الدولة ، والرأسمالية العقارية ، والرأسمالية المتاجرة ، معنى هذا انها كانت تكفى هى الاخرى كتمهيد حول تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية للفترة التى يدرسها الباحث ، ليتبين بعدئذ الى أى حد أنعكست هذه كلها على الحياة السياسية بعامة ، والتنظيم السياسى بخاصة . فلو انه سلك هذا السبيل لأراح وأستراح ، بحيث يتمكن من تركيز جهده فى دائرة محدودة ، واحاطتها بكل ما يخدمها من جزئيات ، وما يرتبط بها من تفاصيل .

* * *



والباب السادس فى الكتاب يستغرق ستة وعشرين صحيفة ليس غير ، على الرغم من أن هذا الجزء هو اهم ما فى الكتاب ، بل انه احدث ما فيه على الاطلاق ، وهو عماده ، وحجر الزاوية فيه ، ولولا ذلك ما اختار المؤلف عنوان هذا الباب « التنظيم السياسى » عنوانا لكتابه . ومع ذلك فانا نراه يوجز فى حديثه عن « هيئة التحرير » و « والاتحاد القومى » ثم « الاتحاد الاشتراكى العربى» ، واضطر كتقديم لهذا الجزء ان يكرر كثيرا مما ذكره متعلقا بدستور ١٩٢٣ ، وما الى ذلك من فشل الحياة النيابية . فقد كانت الاحزاب ، والتنظيمات السياسية التى نشأت فى عهد الملكية مسئولة الى حد كبير عن فساد الحكم فى البلاد ، لأنها تعاونت مع فاروق وسهلت له الامر لكى يعبث بالدستور ، ويمتهن ارادة الشعب . علاوة على ذلك ، فقد كانت غالبية هذه الاحزاب والتنظيمات تمثل فى حقيقتها وقياداتها مصالح كبار ملاك الارض ، وكبار الراسماليين المتعاونين مع الاستعمار . ومن ثم ، أصبح من الطبيعى أن تحل الاحزاب كلها بعد الثورة وأن يبعد السياسيون القدامى الذين تعاونوا مع السراى والاستعمار . وان تلجأ الثورة الى تكوين تنظيمات شعبية تمثل ارادة وآمال الشعب،وتؤكد سيادته ، على ان تتجمع السلطة

العليا فى يدها ، ويتم تكوينها بالانتخاب المباشر الحر .. وسارت التجربة الجديدة فى خطوات متتابعة ، حتى وصلت الى مرحلة النضج بتكوين الاتحاد الاشتراكى العربى ..

هذا الباب هو اخطر ابواب الكتاب ، او بمعنى آخـــر ، كان يجب أن يكون اخطرها ، لأنه الأساس ، هو البداية والنهاية ، غير أن الباحث لم يعطه ما يستحقه من الدراســة والتحليل . فانه تحدث عن « الاتحاد الاشتراكى » فى اربع صفحات اعتمد فيها على قانون الاتحاد الاشتراكى ، المتضمن لتنظيماته المتعددة ، وشروط العضوية فيه ، وأهداف الاتحاد الاشتراكى نفسه ..

والحقيقة التى لا تقبل الجدل ، هى أن المؤلف قد شغل نفسه فى الأبواب المتقدمة بغير داع ، واهمل ما كان يجب الا يهمل .. فلم تظفر لديه بتعريف محدد للتنظيم ، ومعناه ، ومستوياته ، والفرق بين الاتحاد الاشتراكى العربى وبين نظام الحزب الواحد فى بعض الدول التى تأخذ بالنظام الاشتراكى .. وجدير بالذكر أن النظرية العربية فى الاشـــــتراكية لا تؤمن بتعدد الاحزاب ، ولا الحزب الواحد . لأن الأول كان الاســـــاس فيه انقسام المجتمع الى طبقات متعددة بحيث تحاول كل منها تشكيل حـــزب ســــياسى للدفاع عن مصالحها الخاصة دون نظر الى باقى مصالح المجتمع . ومن ناحية الحزب الواحد ، ففى أغلب الاحيان يصبح هذا الحزب جزءا من جهاز الدولة، وتصبح جماهير الشــــعب خاضعة لســــلطته الاحتكارية ، بحيث تتركز السلطة فى أيدى فئة قليلة منه . وتكون الحركة هنا صادرة من اعلى الى أسفل ، وتمضى وفق حتمية جامدة ترسمها نظرية قطعية . وهذا يخالف مفهوما للاشتراكية التى تعمـــل تنظيمـــاتها الســـــياسية لصـــالح الجماهير ، كما هو واضح فى الاتحاد الاشتراكى، اذ ينطلق بالجماهير فى طريق خيرها ، وهو الطريق الذى ارتضته الارادة الشعبية ميثاقا للعمـــل الوطنى خلال السنوات القادمة .

فالاتحاد الاشتراكى اذن ليست له اية صبغة حزبية ، لأن التشكيل الحزبى بطبيعته وحسب مفهومه فى كافة المجتمعات الانسانية يضم قطاعات تضيق أو تتسع حسب اهداف الحزب ودرجة أشـــباع وســـائله لحاجات الافراد الذين ينتمون اليه .. وحتى فى المجتمعات التى تأخذ بنظـــام الحزب الواحد ، فان هذا الحزب لا يضم قوى الشعب العاملة باية صورة من الصور ، وانما تقتصر عضويته على طبقة واحدة مســـيطرة ، تدعم كيانها عن طريق الحزب الواحد .. وعلى العكس من هذا المفهوم تمـــاما يظهر الاتحـــــاد الاشتراكى العربى بمثابة الوعاء الذى يضم كافة قوى الشعب بما فيها العمال ، والفــلاحين ، والمثقفين ، والراسمــالية الوطنية ، والجيش . فهو ليس جهازا يدافع عن طبقة معينة ، بل انه تجمع جماهيرى شعبى يهدف الى مقاومة سيطرة الطبقة الواحدة ، مهما كان وضع هذه الطبقة . كما انه ليس تنظيما حزبيا يناصر جهاز الحكم ، وانما هو تنظيم سياسى يحاسب جهاز الحكم ، ويقومه ، ويخطط له ، ويرسم معالم الطريق ، أو معالم العمل الثورى . وهذا هو ما يبعد عنه شوائب التنظيم الذى يقوم على الانانية المنبثقة عن تفضيل مصالح طبقية معينة على مصـــالح أخرى .

وهكذا جاء تنظيم «الاتحاد الاشتراكى» طليعة لقوى الشعب العاملة من ناحية،وممثلا لقيادتها السياسية فى معاركها الداخلية والخارجية من ناحية أخرى . فهو جزء منها وليس منفصلا عنها . وهو ليس غاية فى حد ذاته ، بل هــو وسيلة لتحقيق فكرة معينة او هدف معين ، لذا فليس لوجوده معنى بدون هذه الفكرة وهذا الهدف ، كما انه يعتبر التنظيم الأم الذى لا يلغى التنظيمات الجماهيرية الأخرى ، بل يضـــمها جميعا . فالنقابات والاتحادات المهنية ، والمنظمات الثقافية ، ومنظمات الشـــباب ، والجمعيات التعاونية ، ومجلس الأمة ، كل هذه منظمـــات تجمع الجماهير من داخلها ، ولكنها تكون جزءا منه يقودها ويوجهها .. وهو كتنظيم يضم قوى الشعب العاملة ، لا يقود هذه القوى فقط ، بل يحل تناقضاتها ، ويبلورها فى وحـــدة عمـــل ووحدة فكر ، نتيجة للصراع الفكرى الحر الذى يستهدف تحقيق التحول الاشتراكى .

وثمة قضايا كثيرة وضرورية ، كان ينبغى على مؤلف الكتاب ان يتعرض لها،او ان يشير اليها، بدلا من اســـتكانته العـــارمة للتنقل السريع من موضـــوع الى موضـــوع ، ومن فكرة خاطفة الى أخرى عاجلة .



ولا نستطيع ان ننكر بحال من الاحوال سيطرة النزعة التاريخية على الكتاب والكاتب ، منذ أول سطر فيه ، وأن علتها — كما سبق القول — مسحة اقتصادية واجتماعية خفيفة ، تظهر بين لحظة واخرى . وليس هذا عيبا فى حد ذاته ، لو ان المؤلف تتبع التنظيمات السياسية خلال المراحل التاريخية التى حاول التعرض لها والوقوف عند منعطفاتها . وكان يوهمنا فى ثنايا الكتاب بانه يريد ان يفعل ذلك . كان يبدأ الفصل بسؤال معين ، ثم يأخذ فى العرض التاريخى ، فتستغرقه الاحداث والوقائع حتى ينسى الاجابة عن السؤال الذى طرحه ، أو النقطة الأساسية التى يجب ان يناقشها ويحللها . فمثلا نلاحظه فى بداية الفصل الثانى من الباب الاول وهو يتحدث عن الاقطاع العثمانى ، وعن ان العثمانيين كانت لهم صفاتهم وطبيعتهم ومستوى معيشتهم وتفكيرهم ، واهدافهم المحددة ، اذا به يتساءل : (فهل كان فى وسعهم ان يغيروا من طبيعة البنيان الاجتماعى الاقتصادى الموجود فى مصر ؟ أ أو أن يغيروا من التنظيم السياسى الموجود فى البلاد ؟) ص ١٩ . ونتظر الاجابة عن السؤال ، فاذا به يتوه فى خضم موضوعات متباينة من تحول التجارة ، الى الغزو العثمانى ، والطبقات الاجتماعية ، ونظام الرى والحرف والصناعات والاموال ، ويظل يسهب فى شرح احوال مصر تحت ظل الاستبداد التركى الى ان اصطدمت — كما يقول — بمجىء الحملة الفرنسية التى هزتها من كيانها . مستطردا فى شرح النظم الاقتصادية والاجتماعية والادارية ، بيد أن « التنظيم السياسى » لا يحظى منه الا باشارة خاطفة لا تتعدى أربعة اسطر فى كثير من الاحيان . وهو دائما يربط بين النشاط الاقتصادى والنظام السياسى ، ويعتبر العلاقة بينهما علاقة تلازم ووجوب ، وان كنا لا نجده يتتبع هذه القضية بالدراسة ، فهو يطلقها بعمومية وقطعية لاتقبل الجدل . كما يبدو ذلك فى حديثه عن الاقطاع المملوكى حيث يقول ص ٩ : (وتبلور الامر فى شكل نمو لنظام اقطاعى رسخ فى البلاد وعمل على استغلالها لمصلحته الخاصة . واثر ذلك بالتالى على شكل نظام الحكم والبنيان السياسى الذى قام على هذه الأسس الاجتماعية والاقتصادية . فمن الاقتصاد نصل الى شكل المجتمع العام ، ومنه نصل الى الخطوط العامة للتشكيل السياسى الذى يأخذ الخطوط العامة لنظام الحكم للبلاد ...) ويقول ص ١٤ : (ومع قلة أهمية التجارة فى هذا النظام الجديد ، ونشوء قيادات جديدة فى البلاد ، ومع قلة العمليات التجارية الخارجية تأثرت الصناعة ، والحرف ، وتأثر التنظيم السياسى ...) علما بأن الكاتب لم يحدد الشكل السياسى الذى صاحب كل مرحلة ، ومفهوم الحكام له ، والقوى الاجتماعية التى تتمثل فيه .. فالتنظيم الشعبى كائن حى ، ذو روح هى سره ومحركه ودافعه الكبير ، وروح التنظيم الشعبى انما تستمد من الديمقراطية الفكرية التى تشيع وتتحقق فيه على كل المستويات .

وعند تعرضه لثورة عرابى ، وثورة ١٩١٩ ، نجده يمر بهما مرورا عابرا ، فلم يقف ازاءهما ليكشف دور كل منهما فى الحياة السياسية ، والأسباب التى ادت الى سرعة تصفيتهما ، والقوى الاجتماعية التى اسهمت اسهاما فعالا فيهما ، والاحزاب او التنظيمات التى تمخضت عنهما . فقد كان كل حزب مرتبطا بطبقة معينة من طبقات الأمة ، فالحزب السياسى الممثل للبورجوازية الزراعية كان هو « حزب الأمة » ، بينما الحزب الممثل للقطاع الاكثر ثورية من البورجوازية كان « الحزب الوطنى » . كما ان الحزب الاشتراكى المصرى الذى تأسس عام ١٩٢٢ ، يعتبر هو الآخر احد التنظيمات التى شهدتها الحياة السياسية فى مصر ، ومعروف أن وزارة سعد زغلول قد وجهت اليه ضربة قاضية فى أوائل ١٩٢٤ حين حاكمت اعضاءه وحلت اتحاد نقاباته . ! هذه التنظيمات السياسية كان الوقوف عندها ، وتتبعها ، والتعمق فيها ، وتحليلها ، يغنى الكاتب عن

الاستغراق فى تفاصيل كثيرة جدا لم يكن لها مبرر على الاطلاق ، كما انه كان جديرا بأن يثرى ، القارىء ويمتعه فى موضوع تقل المؤلفات فيه .

وقارىء هذا الكتاب يجد نفسه مضطرا الى ان يسأل الكاتب سؤالين اثنين : السؤال الاول يستهدف تجلية مفهوم المؤلف للثورة ؟ هل هو مفهوم سياسى أم اجتماعى ؟ ! ذلك أن عنوان الكتاب عام وشامل غير محدد « الثورة والتنظيم السياسى » ، وواضح انه ليس مدببا نحو ثورة ٢٣ يوليو ، وأن كانت الصفحات تؤكد ذلك ، الا انه من الضرورى النص على انها ثورة يوليو والتنظيم السياسى .

ويبقى السؤال قائما ، فاستنادا الى تحديد معنى الثورة على أساس الغاية المرجوة من ورائها ، ظهرت التفرقة بين لونين من الوان الثورة : الثورة السياسية والثورة الاجتماعية . وقد سجل سيادة الرئيس شيئا من هذا فى « فلسفة الثورة » ص ٤٣ حيث يقرر (لكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى ارضه دون رضاه .. وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد ..) ولكل من المفكرين « سان سيمون » و «كارل ماركس» رأى فى «الثورة» ومعناها وضرورتها ، والعوامل التى تؤدى الى قيامها ، ثم الطبقات الاجتماعية التى يجب أن تحمل عبء القيام بها ، وكذا التنظيمات التى تتشكل على اثر الثورة ...

والكتاب ــ بطبيعة الحال ــ لا يجيب على هذا التساؤل بين صفحاته ! السؤال الثانى : هل من حق المؤلف ــ أيا كان ــ أن ينشر كتابا واحدا فى ثلاثة صور واشكال ، مع تغيير فى العنوان، فقط، وحرص على أن يكون المضمون واحدا ، والألفاظ غير متباينة ، والعبارات لا اختلاف فيها ولا تحوير ، ورءوس الموضوعات لا تكاد تفترق فى كثير (١) ؟!

* * *

ويرتبط بما سبق أن المؤلف قلما يذكر المراجع التى استند اليها ، والكتب التى عول عليها من مؤلفات غيره ، والواقع انه اعتمد على كثير من كتب التاريخ والادب والاقتصاد ، الا انه لم يفكر فى ذكر اسم مرجع منها ، وانما احالنا الى مؤلفاته هو ، وليس معيبا أن يورد الباحث كل المراجع التى استعان بها فى بحثه ولو مجملة فى آخر الكتاب ، اذ كيف يكون الكتاب بحثا او دراسة بلا مراجع ومصادر ؟!

والامر هنا مختلف تماما ،ذلك أن المؤلف اقتصر على الاشارة الى مرجعين اثنين : « زعماء الاصلاح فى العصر الحديث » للدكتور احمد امين ، و « ثورة ١٩١٩ » للاستاذ عبد الرحمن الرافعى، ثم مقال للدكتور محمد انيس بمجلة «الكاتب» يوليو ١٩٦٥ .

وفى مواضع بعينها كان يجب على الباحث الاشارة الى المرجع ، حتى وان كانت وجهة نظره مختلفة معه ، مثال ذلك انه فى عرضه لثورة ١٩١٩ وأسبابها ، ينسب أقوالا لكتاب لا يورد أسماءهم ولا مؤلفاتهم التى ذكروا فيها تلك الآراء، على الرغم من اهميتها ، كأن يقول : (وحاول بعض الكتاب أن يفسروا ثورة سنة ١٩١٩ بأنها جاءت نتيجة لازدهار اقتصادى ،واستنتجوامن ذلك مخطئين بأن من خصائص مصر وشعبها أن ير فعوا الأصوات كلما تحسنت احوالهم ، وينكمشوا على نفوسهم كلما أشتدت الضائقة وزاد الكبت .. بل لقد استغل عدد من الكتاب المستعمرين هذه النظرية فى اثبات أن سيادة الأمن والنظام فى عصر تتطلب كبت الاهالى واجبارهم على المعيشة فى ظروف صعبة ..) ص ١٦٥ ويعود ليقرر أن (هذا الاتجاه مخطىء ومغرض ولا يثبت أمام برهان ..) فكان الاولى بالباحث ان يرد هذه الاقوال الى أصحابها ان كان لها أصحاب ، وبالذات لانه حاول أن ينفيها ويأتى بنقيض لها ، وكانت تكفيه مجرد اشارة فى هامش كتابه .

* * *

وربما يكون عذر الباحث فى هذا كله انه مهتم اساسا بالتاريخ ، فجاء كتابه متلونا بثقافته ، متأثرا بتخصصه ، ومجال دراسته ، وهى مآخذ لا تنقص من قدر الكتاب من الناحية التاريخية فحسب ، بقدر ما تنال منه لو انه قصد به دراسة فى النظم السياسية ومبادئها واسسها واهدافها وتطورها وعلاقة الثورة بها.

سيد حامد النساج

صفحات



مطوية عن فلسطين

تأليف : أحمد فراج طايع

عرض ونقد : فـؤاد شـبل

الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية ٢١٥ ص ٢٤×١٧ ٥٠ ش

بدأ الاستاذ أحمد فراج طايع حياته الدبلوماسية عام ١٩٢٧ بالقدس ثم عين قنصلا عاما لها فى يولية ١٩٤٧ وظل بها حتى ١٣ مايو ١٩٤٨ ، فكان شاهدا عيـانا لنكبة فلسـطين وأتاح له مركزه الديبلوماسى الاتصال بالمسئولين والاطلاع على وثائق ودراسات لا تتيسر لغيره.

ولقد بين المؤلف فى مقدمة كتـابه مقصده من الكتابة عن فلسطين بعد انقضاء تسعة عشر عاما من نكبة العرب ٠٠ أن يبين أخطاء الماضى ليتمكن العرب من تجنب الوقوع فى مثلها فى المستقبل وأن يضع أمام المهتمين بقضية فلسـطين الحقائق التى شاهدها فى دراسة مجردة عن الغرض خالية من أى زيف ٠

ولهذا تبحث فصـول الكتاب الأساسـية فى مسـائل ثلاث تصل بتحـديد مسـئولية كارثة فلسطين وأثر الثورة المصرية على مطامع اسرائيل، وأخيرا تحرير فلسطين ٠ واختتم الكتاب بفصل لا أدرى علاقته بمنهاج بحثه ويتصل بما أدته مصر للاجئين الفلسطينيين عقب سقوط اللد والرملة٠ ووعد المؤلف أن يجد قارئو كتابه حقائق لم يسبق نشرها ٠

وعرض المؤلف فى الفصـــل الأول لأهـداف اليهود وخططهم فى تحقيقها وحججهم فى تبريرها٠ ولقد اقتبس فقرة من الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ، وجاء به أن الرب عاهد ابراهيم عليه السلام على اقطاعه الأرض من نهر مصر الى الفرات٠ وعلق المؤلف على هذه الأسطورة الخرافية بأن العرب كذلك من نسل ابراهيم لأنهم من سلالة اسماعيل عليه السلام ٠ وبالتالى ينطبق عليهم ــ فى رأيه ــ الميثـاق الذى قطعـه الله مع ابراهيم باعطائهم الأرض المذكورة ٠ لكن اليهود فسروا فقرة التوراة أن الله قصد به نسل يعقوب وليس لنسل اسماعيل نصيب فيه ٠

ومعنى هذا أن السيد المؤلف يؤمن ــ حسب الظاهر ــ بخـرافة التوراة التى تعطى لليهـود المنطقة الواقعة بين الفرات والنيل على شريطة أن يشارك العرب اليهود فى هذا الميراث الناتج عن وعد لا سند له من العلم وبما لا يقـاس بارادة الشعوب ، كما لم يرو بذلك نص فى كتاب الله الكريم ٠ وكتـاب الله جل ثنـاؤه يصم اليهود بتحـريف التـوراة وتزييفها ويجـردها من كل قدسية ٠ ألم يقل الاستاذ المؤلف (١) « ومع أن العرب هم أيضا من نسل ابراهيم اذ هم من سلالة ابنه اسماعيل والميثاق الذى قطعه الله مع ابراهيم وجاء ذكره فى التوراة ينطبق عليه ايضا » ٠ وهل

يعنى هذا القول مع أساطير التوراة ولكن مع الرضا بقسمة الأرض بيننا وبين اليهود ؟

وتذكر المصادر العربية أن اسماعيل ابن السيدة هاجر المصرية وأن قبيلة جدهم مرت بمكة ـ بعد أن تفجرت بئر زمزم ـ فلاحظت وجود الماء فاستقرت فى المكان وتزوج اسماعيل منها • وبالتالى ليس اسماعيل جد العرب لكنه جد قريش ، وقد وجد العرب قبل أن يولدابراهيم بأحقاب وأحقاب ، وهم من العنصر الذى يطلق عليه علماء السلالات البشرية « السامى / الحامى » ويشتمل على عدة فروع منها العرب والبابليون والمصريون والأحباش •• الخ •

ويمضى المؤلف بعد ذلك فى سرد خطط اليهود فى تحقيق هدفهم وكنت أتمنى لو التزم التحليل العلمى المجرد • فلم أعثر فى صفحات ١٠ و ١١ و ١٢ الا على سرد خال خلوا تاما من القيمة العلمية • ويسرنى أن أحيله على الجزء الثانى عشر من مؤلف توينبى « دراسة للتاريخ » صفحات ٤٧٧ ـ ٥١٧ والجزء الثامن صفحات ٢٧٢ و ٣١٣ بصفة خاصة •

وذكر السيد المؤلف بصفحة ١٠ أن اليهود أطلقوا على أنفسهم اسم الصهيونيين ، الا أنه لم يبين الاصل التاريخى لهذه التسمية ، نظرا لعلاقتها الشديدة بأهداف اليهودية العالمية •

ونجده يذكر بصفحة ١٤ حجج اليهود فى تبرير أهدافهم وقوله أن معظمهم لا تربطه بفلسطين أية رابطة الا أن القدس كان مهبط ديانتهم اليهودية وكان بها هيكلهم •

والصحيح علميا أن الديانة اليهودية قد نشأت عقيدة بدائية بأن عبد اليهود فى البداية صنما يدعى ياهوى قبل هجرة اليهود من جزيرةالعرب نحو الشمال • ثم طرأ عليها تطور خطير بفضل نزوحهم الى مصر (١) • وتكونت العقيدة الدينية قبل انشاء هيكل سليمان بزمن طويل ـ فلقد سبق سليمان أنبياء آخرون فى مقدمتهم موسى المؤسس الحقيقى للديانة اليهودية •

ولم يلتزم الاستاذ المؤلف المنهاج العلمى فى تفنيد حجج اليهود بالنسبة لما يدعونه من حقوق مزعومة على أرض فلسطين واقتصر فى الصفحات التالية على مجرد السرد البحث دون أن يتناول الوقائع بالتحليل العلمى • وهذا ما يدفعنى للانتقال الى صفحات الكتاب الأخرى المتصلة بتجارب السيد المؤلف ومشاهداته :

فلقد خصص المؤلف الفصل الثانى لتحديد المسئولية عن كارثة فلسطين • وبدأه باقتباس ما ذكره عن هذا الموضوع الأساتذة : عادل زعيتر فى كتابه « القضية الفلسطينية » والدكتور فاضل الجمالى فى كتابه « ذكريات وعبر » والمرحوم على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » ثم اقتبس طائفة من أقوال الاستاذ التابعى التى عرض فيها لمسئولية أمين الحسينى مفتى فلسطين السابق •

وخلص المؤلف من اقتباساته الى تحديد المسئولية عن كارثة فلسطين بأنهم : أمين الحسينى وعبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية السابق ثم ساسة البلاد العربية التى حكموا بلادهم فى ابان الفترة ١٩٣٦/١٩٤٨ وأخيرا بريطانيا وأميركا •

ولقد عرض الأستاذ المؤلف لمسئولية أمين الحسينى وحمله مسئولية سوء توجيه الفلسطينيين سواء قبل المعركة أو بعدها • ويعتبر هذا العرض أوفى أقسام الكتاب • وأعجبنى قوله انه كان من واجب الهيئة العربية العليا أن تتخذ خطوات ايجابية لدفع الخطر لنشر التعليم فى أوساط الفلسطينيين وبناء مستشفيات وتقديم الخدمات الاجتماعية وتعميم التدريب العسكرى بين شبابهم •••

والحق أن أمين الحسينى كان مسوقا بأطماعه الشخصية فى اعلان نفسه ملكا على فلسطين• فان من أبشع الكوارث التى ما برح الاسلام يمر بها والبلاد العربية خاصة ، اعتقاد بعض القائلين بالانتساب الى سيدنا رسول الله بأن النسب الشريف يعطى صاحبه أو مدعيه حقا على رقاب المسلمين • وعلى المسلمين أن ينصبوا أصحابه ملوكا وأمراء أو يغدقون عليهم الأموال وأن يقدسوا ذواتهم الى أبعد حدود التقديس • وكان أمين الحسينى يدعى الانتساب الى الامام الحسن

ابن على رضى الله عنه ، فكيف ينصب عبدالله سليل الحسين بن على رضى الله عنه ملكا على الأردن ولا ينصب هو ملكا على فلسطين المجاورة: فان الحسن شقيق الحسين !!

وهكذا سيرت الاطماع الشخصية أمين الحسينى وكانت أحد العوامل الهامة فى نكبة فلسطين ·

- ٦ -

ثم عرض السيد المؤلف لدور عبد الرحمن عزام الامين العام السابق لجامعة الدول العربية فى القضية الفلسطينية · فقرر بأنه أدى دورا أكبر بكثير من دور الامين العام · وذلك نظرا لطغيان شخصيته على مجالس الجامعة العربية ·· فتعدى بذلك حدود اختصاصه وكان دوره فى كل ما قررته مجالس الجامعة فى القضية الفلسطينية قياديا ·

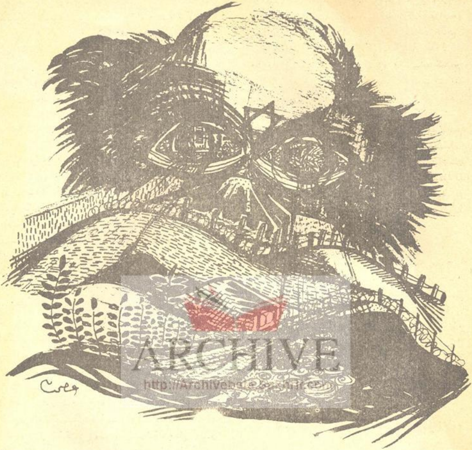
واذا كان دور عبد الرحمن عزام فى قضية فلسطين قياديا فلا شبهة فى مسئوليته عن نتائج قيادته للقضية وتزعمها ، لكن السيد المؤلف وان سلم بأخطاء عبد الرحمن عزام فانه يبرئه بحجة حسن النية ولا يسوق المؤلف دليلا واحدا على حسن نيته · ولا أفهم اطلاقا كيف يخطىء انسان فى حق مصير شعب ويقال بحسن نيته ، وبالتالى يلتمس له العذر بالجهل والبلاهة والضعف والاستهتار فكيف يتصدى انسان لتحمل مصير مائة مليون عربى وذراريهم وهو بهذه الصفات التى تجمعها كلها صفة حسن النية · ولو أخذنا بهذا القول على علاته لفتحنا الباب على مصراعيه لتبرير أفعال روبسبير والحجاج بن يوسف وموسولينى وغيرهم من الطغاة والخونة · اذ لا يوجد بالنسبة لمصائر الشعوب حسن نية أو سوء نية ، بل توجد أخطاء تجب محاسبة أصحابها على ما جنته أيديهم حسابا عسيرا ·

والجيل الحالى يذكر لعبدالرحمن عزام اسرافه فى التصريحات حتى لقب بـ « أبو الكلام عزام »، وأحاديثه المخدرة الجوفاء واغفاله نصائح الناصحين وجهله بملابسات القضية الفلسطينية الدولية وهو ماكان يوجبه عليه مركزه وتعمده تمييع التضامن العربى واحالة اجتماعات العرب الى مآدب يصول فيها ويجول بالخطب التى تمس القلوب وتنشر عن العقول السليمة · كما لاننسى أن عزاما صاحب فكرة تحريض عرب فلسطين على هجر بلادهم فكان العرب بين مذابح عصابات الصهيونية ونداءات عزام. وقد استفسرت وتذاك من السيد محمد عبد المنعم مصطفى عن السر فقال بان قرار التقسيم قد أوجب قيام دولة عربية الى جانب دولة يهودية ، فان لم تقم الدولة العربية استحال قيام الدولة اليهودية !!

وان المثقفين فى البلاد العربية ليتمنون اجراء تحقيق شامل جامع عن نكبة فلسطين واجراء محاكمات لمن تسببوا فى هذه الكارثة التى يقاسى ويلاتها مائة مليون عربى وستمائة مليون مسلم ، وقد تجر العالم الى حرب عالمية لا تبقى ولا تذر بسبب ما يقرره المؤلف عن « حسن نية » عبدالرحمن عزام ، ولا شك أن غيره ينادون بحسن طوية الملك عبدالله ، وآخرون يقسمون بسلامة مقاصد أمين الحسينى وفاروق ·· الخ · وكم كنت أتمنى لو أخذ السيد المؤلف فى اعتباره موقف هذا الرجل من وطنه فى الوقت الحاضر

وخصص المؤلف عشر صفحات فقط للتحدث عن دور الاستعمار فى اقامة دولة اسرائيل · واننى لأعتبر هذا القسم أنسب المواضع لتحليل ما يتصل بمشكلة فلسطين من السياسات الدولية لا سيما وقد شغل الاستاذ المؤلف فترة ما منصب وزير الخارجية ·

فؤاد محمد شبل



من الاساطير التى خلقتهـــا وروجتها الدعاية الصهيونية ومن ورائهـا الدعاية الغربية ، قصة الانجازات الاقتصادية التى حققتها اسرائيل خلال عدد قليل من السنوات ، وهذه القصة هى التى يتناولها بالعرض والمناقشة ، الدكتـور يوسف صايغ فى كتابه القيم « الاقتصاد الاسرائيلى » ٠

ان الدعاية الصهيونية تركز بشدة على أن هذه الانجازات تحققت منذ قيـــام اسرائيـــل فى عام ١٩٤٨ ، وهذا ما يحذرنا منه المؤلف فى الفصل الاول الذى جعــل عنوانه « المنطلق الفلسطينى للاقتصاد الاسرائيلى » ٠ فهذا الفصل له غرضان رئيســيان **أولهما** التعرف الى جذور الاقتصاد الاسرائيلى التى تعود الى ما قبـل صدور تصريح بلفور بكثير ، أى الى أواخر القرن التاسع عشر حين بدأت تظهر برامج للاستيطان اليهـودى ، واضحة محـــددة وذات صبغة جماعية وأهداف مرسومة منبثقة من العقيدة الصهيونية٠ والغرض **الثانى** هو ابراز مدى اعتماد هذا الاقتصاد على ما سبقه من نشاط صهيونى محلى وعالمى ، ومن تســهيلات رسمية قدمتها حكومة الانتــداب أى بريطانيا ، خلال ثلاثين عاما ٠ وعلى ضوء هذه

الاقتصاد الاسرائيلي

الناشر . مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت
٣٧٠ ص ١٧×٢٤ سم - الثمن ٥٠ قرشا

عرض وتلخيص : دكتور راشد البراوى

المعـــانى يحدثنـــا المؤلف « **ان اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على هـذا الرصيد الضخم من المعونة والتأييد ومن الاختبار يجب ابرازه بوضوح ودقة والا فاننا نقع فى خطأ فاحش بأن ننسب الى هذا الاقتصاد فى سنواته الاربعة عشر** (نشرت الطبعة الاولى من الكتاب فى عام ١٩٦٤) **منجزات هى فى الواقع ثمار حقب عديدة من النشـــاط المركز الواسع النطاق تمتد على الاقل من تصريح بلفور عام ١٩١٧ حتى هـذه الساعة لاثمار حقبة تمتد منذ تأسيس الدولة فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ حتى هذه الساعة** » .

ومن الدراسات والبـــحوث وما فى حـــكمها الصـــادرة منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى صدور تصريح بلفور وصك الانتداب ومن بعـــد هاتين الوثيقتين ، نلاحظ أن الحركة الصهيونية منـــذ تبلورها وتنظيمهـــا كانت دوما وصراحة تستهدف تحقيق الامور الاربعة التالية :

(أ) الهجرة الكثيفة الى فلسطين

(ب) الاستيطان ، على الأخص الزراعى منه ، فى فلسطين

(ج) انشاء دولة يهـــودية قوية فى فلسطين (أو تحويل فلسطين الى دولة يهودية قوية)

(د) تطوير فلسطين اقتصاديا واجتماعيا فى صالح المجتمع اليهودى فيها .

وهذه الاهداف الرئيسية الاربعة راحت تعمل على تحقيقها مجمـــوعة من المؤسسات الصهيونية أهمها المنظمة الصهيونية (التى أنشئت عـــام ١٨٩٧) والوكالة اليهـــودية (التى انبثقت عنها سنة ١٩٢٠ وجرى توسيعها عام ١٩٢٩) ، وذلك من حيث الحق [illegible] توجيـــه ورعاية الاقتصـــاد الصهيونى .

ومن هذه المؤسسات التىيحدثنا عنها الدكتور صايغ حديثا مسهبا :

١ - الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين ، التى أنشئت عـــام ١٨٨٣ واشترت حتى أواخر عهد الانتداب ٤٥٠٫٠٠٠ دونم ، وكان جزء من الارض المشتراة يباد بيعه الى المزارعين اليهود بشروط سهلة جدا ، وبحيث لا تباع لغيرهم بعد ذلك .

٢ - صندوق الائتمان اليهـــودى للاستعمار ليمتد الذى أنشىء عام ١٨٩٩ ، ثم أسس فى عام ١٩٠٣ بنك أنجلو- فلسطين لتمويل عملية تنمية الاقتصاد اليهودى (وتحول اسمه فى عام ١٩٥١ الى « بنك لئومى لاسرائيل ») .

٣ ـ الصندوق القومى اليهودى وأنشىء فى عام ١٩٠٧ ومهمته شراء الاراضى فى المناطق الزراعية والمدن وادارتها بالنيابة عن الوكالة اليهودية والائتمان عليها ائتمانا دائما باعتبارها وقفا يهوديا باسم الشعب اليهودى ، لا يجوز بيعه أو التصرف به أو السماح باستغلاله لغير اليهود ، أو استخدام غير اليهود للعمل فى الأراضى التابعة له • وبلغت ايرادات الصندوق حتى أواخر الانتداب نحو ١٥ مليون جنيه انفق منها ٦ ملايين لشراء الأراضى التى ابتاعتها هذه المؤسسة (الوكالة اليهودية) ومساحتها ٧٥٨٫٠٠٠ دونم •

٤ ـ الصندوق الفلسطينى التأسيسى الذى أنشىء عام ٩١٢٠ كجهاز تابع للمنظمة الصهيونية وتحول منها الى الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ ، وتنحصر أغراضه فى توفير وسائل الهجرة والاستيطان ، وتجاوزت ايراداته ٣٠ مليون جنيه حتى أواخر عهد الانتداب •

٥ ـ الاتحاد العام للعمال اليهود (هستدرون) وأنشىء فى عام ١٩٢٠ ووصل عدد أعضائه فى نهاية عهد الانتداب الى ٢٠٠٫٠٠٠ أى ما يعادل ٧٥ ٪ من اليهود ذوى الرواتب والأجور • والنشاطات التى يزاولها متعددة ومتنوعة وتشمل تعاونيات زراعية ، وتعاونيات مختصة بالنقل والمواصلات ، ومؤسسات للتسويق ، وبنك للعمال ، وجمعيات التوفير والاقراض للعمال ، والتأمين للعمال بأسعار منخفضة ، وتملك صحف ودور نشر ومسارح ونواد وبورصات للعمل •

ولبيان الدور الكبير الذى لعبته المؤسسات سالفة الذكر فى التمكين للصهيونية فى البلد العربى فلسطين فنذكر أن جملة السكان اليهود ارتفعت من ٥٦٫٠٠٠ سنة ١٩١٨ الى ٦٥٠٫٠٠٠ سنة ١٩٤٨ ، وزادت مساحة الأراضى التى فى حوزة اليهود من ٤٢٠٫٥٠٠ دونم فى سنة ١٩١٤ الى ١٫٧٦٧٫٢٠٠ دونم فى عام ١٩٤٨ •

من الاحتلال حتى نهاية الانتداب

يعرض المؤلف بعد ذلك « تطور الاقتصاد اليهودى من بدء الاحتلال لنهاية الانتداب » وهنا تطالعنا الحقائق الآتية :

أولا : زاد عدد اليهود من ٥٦٫٠٠٠ سنة ١٩١٨ أى بنسبة ٨ ٪ من مجموع السكان ، ٦٥٠٫٠٠٠ سنة ١٩٤٨ أى حوالى ثلث مجموع السكان البالغ عددهم ٢٫٠٦٥٫٠٠٠ • فلو كان التكاثر الطبيعى هو السبب لما تجاوز عدد اليهود ١٠٠ ألف فى عام ١٩٤٨ ، ومن ثم فقد كانت الهجرة هى العامل الأكبر فى ارتفاع جملة السكان اليهود فى خلال فترة الانتداب •

ثانيا : فيما بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٤٥ مثلا ارتفعت نسبة العمال اليهود فى قطاع الصناعة والحرف من ١٧ الى ٢٧ فى المائة ، بينما انخفضت فى حالة العمال العرب من ٨ الى ٦ فى المائة مما يعكس الاهتمام الكبير الذى وجهته الصهيونية الى تلك العناصر من الاقتصاد القومى •

ثالثا : ومن أبرز النواحى التى تلفت النظر ، توزيع الأراضى فى عام ١٩٤٨ :

أراضى يملكها العرب بنسبة ٤٧٫٧٧٪	١٢٫٥٧٤٫٧٨٠ دونم
أراضى يملكها اليهود بنسبة ٥٫٦٧ ٪	١٫٤٩١٫٧٠٠ دونم
أملاك الدولة بنسبة ٤٦٫٠٢٪	١٢٫١١٤٫٤٩٢ دونم
أراضى يملكها غير الفئات سالفة الذكر بنسبة ٠٫٥٤٪	١٤٢٫٠٤٨ دونم

واذا أضفنا الى الأراضى المملوكة لليهود ١٠٠٫٩٢٨ دونم كانت مسجلة بأسماء اليهود ، ١٧٥٫٠٠٠ دونم من أراضى الدولة كانت ممنوحة لهم على أساس الاستئجار لآجال طويلة ، لكانت مساحة الأراضى التى فى حوزة اليهود ١٫٧٧٥٫٠٠٠ دونم أى حوالى ٦ فى المائة • وتعادل خمس الأراضى الصالحة للزراعة • **ويجب ألا تخدعنا نسبة الأراضى المملوكة لليهود والبالغة ٦ ٪ بالقياس الى نسبة الأراضى المملوكة للعرب ، ذلك أن القيمة الاقتصادية للأولى كانت أعلى بكثير لأن معظمها فى مناطق المدن والقرى العمرانية والمناطق المزروعةفواكه أوالصالحة للزراعةعموما•** ولا شك أن هذه المزايا تفسر الكثير من التقدم الزراعى الذى حدث بعد عام ١٩٤٨ ، وبعبارة

أخرى نقول ان هذا التقدم وضعت أسسه خلال فترة الثلاثين عاما الممتدة بين الاحتلال ونهاية الانتداب ، وهى الفترة التى تعاونت فيها حكومة الانتداب مع المؤسسات الصهيونية على تمليك اليهود نسبة كبيرة من أجود الأراضى وأخصبها وأوفرها غلة فى فلسطين .

● مأساة النازحين العرب ومعانيها الاقتصادية

ولعل التاريخ الحديث لا يتضمن شبيها بمأساة النازحين العرب ، أى أولئك الذين أرغموا على مغادرة وطنهم العربى لصالح الصهيونية . ولقد حدثت عمليات النزوح فى أربع موجات متتالية خلال فترة تقل عن العام الواحد كما يتضح من البيان التالى :

* قبل مجزرة دير ياسين فى ٩ أبريل ١٩٤٨
نزح ٦٠٫٠٠٠ عربى
فيما بين المجزرة وقيام اسرائيل
نزح ٣٥٠٫٠٠٠ عربى
خلال يولية ١٩٤٨
نزح ١٦٠٫٠٠٠ عربى
من بدء الهدنة العسكرية الثانية فى أكتوبر ١٩٤٨ الى توقيع أول اتفاقية للهدنة فى فبراير ١٩٤٩
نزح ١٧٥٫٠٠٠ عربى
الجملة ٧٤٥٫٠٠٠

وهذا معناه أن النازحين كانوا يشكلون ٥٥٪ من مجموع السكان العرب فى عام ١٩٤٨ اذا قدرنا الأخيرين بأنهم ١٫٣٩٣٫٠٠٠ نسمة . وترتفع هذه النسبة الى ٦٠ ٪ اذا أضفنا سكان قرى الحدود الذين قاموا بنزوح جزئى . واذا احتسبنا زيادة طبيعية قدرها ٣ ٪ مدورة فى السنة لبلغ عدد النازحين ١٫١٦٨٫٠٠٠ – ١٫٢٤٦٫٠٠٠ فى يونية عام ١٩٦٢ ، بينما تجعلهم تقديرات وكالة الغوث ١٫١٧٤٫٧٦٠ .. هذه هى المأساة التى يعيشها أكثر من مليون عربى أرغموا على الفرار من وطنهم ويعيشون اليوم فى ظروف تعتبر سبة فى جبين الانسانية .

ان الذين يتحدثون اليوم عن اسرائيل ، ويدافعون عنها ، ويرفعون عقيرتهم بأنهم ملتزمون ولو أدبيا بالابقاء عليها ، يجب أن يشعروا بالخجل أمام الأرقام الخاصة باللاجئين العرب .

ولقد خرج النازحون وقد خلفوا وراءهم أراضيهم ومعداتهم ومساكنهم ومصانعهم الخ مما يقدر بنحو ٧٥٦٫٧ مليون جنيه فى أواخر عام ١٩٤٨ . فاذا أضفنا الى هذا الرقم :

(أ) ارتفاع الأسعار (١٩٤٨ – ٦٢) وقيمته ٢٧٩٫٩ مليون جنيه

(ب) الرسملة الصناعية فى الفترة ذاتها وتبلغ ١٣٢٫٧ مليون جنيه

(ج) الدخل المتراكم حتى نهاية ١٩٦٢ وتبلغ ٩٢١ مليون جنيه

لكانت جملة الخسائر التى أصيب بها النازحون العرب ٢٠٩٠ مليون جنيه .

ويعقب الدكتور صايغ على هذه المأساة التى أفرد لها الفصل الثالث من كتابه ، فيقول :

« يبقى أن نضيف ، فى نهاية هذا الفصل ، أن النازحين العرب ، وهذا شأنهم الاقتصادى بالأرقام من حيث ممتلكاتهم ومداخيلهم ، ومن حيث طاقاتهم المرموقة والنامية ، ولهم فوق ذلك حصة ضخمة من أملاك الدولة والمرافق العامة ومؤسسات الخدمات العامة ، وجدوا أنفسهم فجأة تحت رحمة قوى سياسية وعسكرية شرسة دون ما مبرر خلقى أو قانونى أو انسانى – قوى استطاعت أن تدفع بهم خارج ديارهم ، واقتصادهم ليصبحوا بين يوم وآخر ، لاجئين ينالون اغاثة هزيلة لا تكاد تمنع عنهم شبح الموت ، وقد تعطلت طاقاتهم بسبب عدم الاستعمال وخلت أيديهم من وسائل الانتاج ومعداته وتسهيلاته .. أنها مأساة ضخمة لا يضمد جروحها ويمسح آلامها الا التصميم العربى الضخم على استعادة الحق السليب فى فلسطين كاملا ، بنواحيه القومية والسياسية والاقتصادية على السواء » .

● هل هو اقتصاد اشتراكى ؟

وثمة أسطورة أخرى تروجها الدعاية الصهيونية تستهدف من ورائها أن تخدع العناصر التقدمية ،

بأن تزعم أن اسرائيل تنتهج فى تنظيمها الاقتصادى أسلوبا اشتراكيا • وكان من الطبيعى أن يتعرض لهذه الناحية كاتب واع مثل الدكتور صايغ • ولهذا فقبل أن يتناول الاقتصاد الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ يقول (ص ١٣٣ – ١٣٤) :

« هنالك عدة سمات غير مألوفة عامة فى بنية أو تركيب الاقتصاد الاسرائيلى • فهو اقتصاد اشتراكى النزعة تسيطر فيه أحزاب اليسار الاشتراكية ، ولكنه مع ذلك **لا يخضع لتخطيط شامل وصارم• ولا تملك الدولة نفسها من انتاه سوى جزء يقل عن النصف • ثم انه اقتصاد يتميز بتملك القطاع الخاص لمعظم رساميله الصناعية •** ويمتلك القطاع العام لأكثر من ٩٠ بالمائة من الأرض فيه ولمعدات وتجهيزات ومكائن ومبانى القطاع الزراعى – بعكس المألوف حيث تسعى الدولة الاشتراكية المنحى الى تملك وسائل الانتاج الصناعى ولكنها تبقى فى يد الأفراد أو المؤسسات الخاصة معظم الأراضى والمساكن الريفية ووسائل الانتاج الزراعى ، **وهو أيضا اقتصاد يضع توكيدا واضحا على المبادرة الفردية فى الاقتصاد برغم منحاه الاشتراكى ، ويشجع الملكية الخاصة فيما عدا القطاع الزراعى•• وأخيرا فانه اقتصاد يعتمد فى بقائه ونموه اعتمادا مسرفا على المعونات المالية الأجنبية الى حد لا مثيل له »** •

• آثار التوسع فى الهجرة

بعد ذلك يأخذ الدكتور صايغ فى الحديث عن قواعد الاقتصاد الاسرائيلى ومنجزاته منذ عام ١٩٤٨ ، ويجب أن ننبه الى أن المؤلف تمشيا مع طريقة البحث الموضوعى والأسلوب العلمى ، لا ينكر حدوث التقدم فى الزراعة والصناعة والتعدين مثلا ، ولكنه يناقش هذا التقدم لكى نعرف الى أى حد يستند الى مقومات حقيقية تكفل له البقاء والاستمرار •

أول ما يلفت النظر أنه خلال السنوات ١٩٤٨ – ١٩٦٢ زاد عدد اليهود فى فلسطين المحتلة من ٦٥٠ر٠٠٠ الى ٢ر٠٧٦ر٠٠٠ أى بمقدار ١ر٤٢٦ر٠٠٠ ، فكأن العدد الأصلى زاد بنسبة ٣٢٠ فى المائة فى ١٤ر٥ سنة • وكان نصيب الهجرة من الزيادة ٩٠٢ر٠٠٠ بنسبة ٦٣ ٪ ونصيب الزيادة الطبيعية ٥٢٤ر٠٠٠ بنسبة ٢٧ فى المائة •

ولكن برغم الزيادة العددية حدث تغيير فى تركيب المهاجرين ليس فى صالح هذه الدولة المصطنعة ، اذ بينما فى عام ١٩٤٨ كان ٨٥ ٪ من المهاجرين هم من الأوربيين مولدا اذا بهذه النسبة تهبط فى عام ١٩٥٨ الى ٤٤ر٥ ٪ • وفى الوقت نفسه ارتفعت نسبة المهاجرين المولودين فى آسيا من ٣ر٥ الى ٢٩ر٦ فى المائة ، والمولودين فى افريقية من ١ر٩ الى ٢٥ فى المائة • ومعنى هذا هبوط نسبة المهاجرين من ذوى التعليم والخبرة والمهارات الفنية ، وهى عناصر أساسية فى أية عملية للتنمية الاقتصادية السليمة • وفضلا عن هذا ازدادت الهوة اتساعات بين طوائف المهاجرين بسبب اختلاف المستويات الحضارية ، وبعبارة أخرى يمكن القول ان اسرائيل لا تعدو من هذه الناحية المهمة أن تكون أشبه ببيت منقسم على نفسه •

وكان لهذه الهجرة الواسعة النطاق ، فضلا عما استلزمته من أعباء مالية ضخمة ، أثر واضح فى خلق مشكلة كبيرة تتعلق بالاسكان ، فالسكان يزدحمون كما يبدو من التوزيع التالى للغرف بالنسبة الى عدد الأفراد فى كل غرفة :

عدد الأفراد فى كل غرفة
أقل من فرد
١ر٠٠ – ١ر٤٩
١ر٥٠ – ١ر٩٩
٢ر٠٠ – ٢ر٤٩
٢ر٥٠ – ٢ر٩٩
٣ر٠٠ – ٣ر٩٩
٤ر٠٠ – ٤ر٩٩
٥ أو أكثر

المتوسط العام للبلاد = ٢ر١

نسبة السكان المئوية فى كل فئة لمجموع السكان
٢ر٥
٢٤ر٧
١٢ر٠
٢٥ر٤
٦ر٢
١١ر٤
٦ر٤
٨ر٧
١٠٠ر٠

ويقول الدكتور صايغ فى صفحة١٧٣ « وواضح أن أكبر مجمـــوعة من السكان تزدحم بمعـدل ٢ر٠٠ ـ ٢ر٤٩ لكل غرفة ، كما أن المتوسط العام للبلاد وهـو أكثر من شخصين لكل غرفة معدل مرتفع » ٠

● عناصر الضعف فى القطاع الزراعى

ينتقل المؤلف الى القطاعات الرئيسـية من الاقتصاد الاسرائيلى ويحدثنا (ص ١٧٨ ـ ١٧٩) بأنه يمكن القول اجمالا ان الانتاج الزراعى تزايد اما عن طريق التوسـع فى النـاتج فى المزارع القائمة ، أو عن طريق انشاء مستعمرات زراعيـة جديدة أو عن طريق توسيع رقعته الزراعيـة أو ايصال الرى الى مناطق جديدة ، أو عن طريق التزايد المطلق فى عدد المزارعين ، أو عن طريق تطوير أنواع جديدة من المحاصيل أو تحسـين أساليب الانتاج ٠ وحصيلة هذه الطرق معا أن الناتج الزراعى تضاعف حوالى أربع مرات خلال السنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٦٢ ، وبرزت زراعة بعض المحاصيل الصناعية (القطن ، الشمندر ، فستق العبيـد) ، واحتفظت الحمضيات بمركزها (صارت مساحتها ٢٧٠٫٠٠٠ دونم بأيدى اليهود بدلا من ١٣٦٫٠٠٠ كانت ملكا لهم حتى سـنة ١٩٤٨ وذلك بوضعهم اليد على بيارات العرب) وحدث تطور ملحوظ فى انتاج الدواجن والألبان ومنتجاتها ، وازداد استخدام الزراعة الآلية ٠

ولكن يلاحظ **أولا** أن التزيد الحقيقى فى الانتاج أصغر بكثير من التزايد بالقيمة ، ففى حين ارتفع الدخل الزراعى بين ١٩٥٠ ، ١٩٦٠ أكثر من اثنتى عشرة مرة على أساس الاسعار الجارية كان الارتفاع الحقيقى أربع مرات فى المدة نفسها ، **وثانيا** أن ارتفاع قيمة الناتج الزراعى رافقه مقدار أعلى من الارتفاع بتكاليف الانتاج بمقدار الثلث تقريبـا مما يجعل القيمـة المضافة أقل تزايدا بين سـنة وأخرى من تزايد قيمة الناتج الزراعى ٠

ولكن الأخطر منهذا أن **التوسع الزراعى مهدد بالتوقفثم بالانتكاس، ذلك أن اسرائيلاستعملت كل ما يمـكن استعماله من موارد الميـاه المتوفرة حاليا واستنزفت امكانات المياه الجوفية** ، وهذا يفسر محاولاتها استخدام مياه الأردن ٠ فطبقـا للكتاب السنوى ١٩٦٢/١٩٦٣ بلغت كمية المياه المتوفرة من شتى المصادر خلال ١٩٦١ ما جملته ١٢٥٨ مليون متر مكعب منها ٨٣٥ من الجوف ، ٤٢٣ من الجداول السطحية والأنهار ، » ويبـدو أن السلطات تعتبر الحالة خطيرة بالنسبة للموارد المائية ٠ فهنالك تخـوف واضح من أن عمليات الضخ تعدت نقطة الأمان بحيث صار يخشى من نسرب الملوحة الى المستوى الارتوازى ٠ وقد حمل التخوف السلطات على تطبيق **قانون استعمال المياه** بشدة وعلى تعنين الميـاه فى الوسط والجنـوب والجليل الغربى ، وعلى التشدد بوجوب الحصـول على الرخص قبل ضخ الميـاه من الآبار والتقيـد بالكميـات التى يسمح **المركز المشترك للتخطيط الزراعى** بها لشتى الاستعمالات » ٠

هذه الحقـائق توضح الدوافع الـكامنة وراء محاولات اسرائيـل للاستفادة من مياه الأردن ، ولكن هذه المحاولات تصطدم بالمعارضة من جانب الدول العربيـة التى بدأت فى تنفيـذ مشروعها الخاص بها لتحويل روافد نهر الأردن فى سوريا ولبنان بعد أن نبه الرئيس جمال عبد الناصر الى هذا الخطر الاسرائيلى ، وهو التنبيه الذى ترتب عليه انعقاد أول مؤتمر قمة عربى ٠

وفضلا عن هذا فانه عند الحديث عما أنجزه الاسرائيليون فى حقل الزراعة والرى ، يتعين أن نسأل عن مدى كلفة هذا التحقيق وكلفة ميـاه الرى ، ان التثميرات فى الزراعة والرى وتشـييد المستعمرات ذات غرض واحد هو توسيع نطـاق الزراعة والاستيطان الزراعى ، وهنا من المفيد أن ننظر الى الكلفة المشـتركة التى تحملت الوكالة اليهودية عبئها الأكبر ٠ فقد بلغت حصة الوكالة من هذه الكلفة (١٥ مايو ١٩٤٨ ـ ٣١ مارس ١٩٦٢) ما مجموعه ١٢٥٩ مليون دولار ٠ وبلغت

موازنة الوكالة ٢٢٣مليون دولار لعام ١٩٦٢/١٩٦٣ مقابل ١٣٠ مليون دولار لسنة ١٩٦١/١٩٦٢ ، معظمهـا مخصص لشـئون الهجرة والاستيعاب والمساكن والاستيطان الزراعى ، وفى هذه الأرقام دليـل كاف على حجم مشـكلة ارساء التثميرات الكافية فى عمليـات الاستيطـان التى تجابهها اسرائيل ٠

الا أن حقيقة المشكلة تتعدى حجم التثميرات التى قامت بها الوكالة اليهودية ، بالاضافة الى التثميرات التى قامت بها الحكومة من موارد الجباية الداخلية ، فهناك ارتفاع كلفة النشاط الزراعى واضطرار السلطات الى اعطاء المنح للمزارعين ٠ ومن باب التخصيص فى بحث ارتفاع كلفة الزراعة نشـير الى الكلفة المرتفعـة لأثمان ميـاه الرى ، ويحدثنا الكاتب س٠ كاريف فى مقال عن ثمن المياه : « انه لأمر حقيقى أن كلفة انتاج الميـاه تفوق بكثير الثمن الذى يدفعه المزارع للحصول عليها » ٠ ولذلك « فان المخطط الاسرائيلى للتوسع الزراعى فى الأراضى المروية وفى رفع عدد السكان الى ثلاثة ملايين أو يزيد ، لا يمكن أن يتحقق من ضمن موارد الميـاه الحالية والمتوقعة من مشروع الأردن ـ النقب » (ص ٢٤١) ٠ **ومن هذا كله نستخلص أن مستقبل التنمية الزراعية فى اسرائيل مظلم ، وذلك دون أن نقول أن مستقبل بقـاء اسرائيل نفسها قاتم الى أبعد حد ، بل ان زوالها أصبح مسألة وقت لا أكثر ولا أقل ، وخاصة بعد التطورات الأخيرة التى شهدها شهر مايو من عام ١٩٦٧ والتى لربما لم يتوقعها الدكتـور صايغ عندما نشر كتابه لأول مرة فى صيف ١٩٦٤ ،** بل وحتى عندما أعاد طبعه فى عام ١٩٦٦ ٠

● ضعف الأساس الذى تقوم عليه الصناعة

فاذا انتقلنا الى القطاع الصناعى فبرغم ماحدث فيه من تقدم فى الانتاج ومن زيادة فى الصادرات الصناعية ، الا أن هذا القطاع يعانى من عناصر ضعف خطيرة ٠ فبخلاف ارتفاع أجور اليد العاملة ارتفاعا نسبيا فاحشا ، هناك شحة فى الموارد الصناعية والقوة المحركة ٠ فالمواد الخام فى معظم الحالات ترد من الخارج وكذلك السلع الانتاجية٠ والثروة المعدنية ليست بذات شان رغم الجهود الضخمة للبحث عنها فى النقب ٠ والبترول الذى عثر عليه حتى الان شحيح ولا يبشر باحتياطى ذى شان٠ ونتيجة لهذا كله فان الانتاج الصناعى يتطلب مستوردات ضخمة (من السلع الانتاجية والسلع شبه المصنوعة والمواد الخام والوقود) تعنى بالتالى أن القيمة المضافة فى الناتج الصناعى تظل صغيرة ٠ ونتيجة للضعف الاسـاسى فى الصناعة وهو ارتفاع كلفة منتوجاتنا فان قدرة المنتجات الصناعية الاسرائيلية علىمجابهة المنتجات المشابهة المصنوعة فى البلاد الصناعية منخفضة ، مما يوجب على الحكومة التقدم بشتى أنواع المعونة للصناعة ٠ ومن هذا كله تتضح الحقيقة البارزة وهو أن التنمية الصناعية فى اسرائيل تفتقر الى مقوماتها الرئيسية ، ومن ثم فالتقدم الذى حدث منذ عام ١٩٤٨ تقدم مفتعل ومهدد بالزوال عندما تزول الاسباب التى أدت اليه ٠

وعند ما يتحدث الاسرائيليه عن الانجـازات الاقتصادية ، لا يذكرون عبثها الفادح المتمثل فى التضخم النقدى وفوضى الاسعار :

١ ـ ففيما بين منتصف كل من عامى ١٩٤٨ و ١٩٦١ زاد العرض من النقود من١٩٣ الى ١٠٠١ مليون جنيه اسرائيلى أى بنسبة ٩٧٦ فى المائة٠

٢ ـ وخلال الـ ... ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ ارتفع الرقم القياسى لأسعار السلع الاستهلاكية من ١٠٠ فى ١٩٥٠ (سنة الاساس) الى ٣٣٤ فى سنة ١٩٦٠ ثم زاد بنسبة ٨٪ سنة١٩٦١ وبنسبة ١٢٪سنة ١٩٦٢ بحيث وصـل الرقم البيانى الى ٤٠٣ر٣ سنة ١٩٦٢ ٠ ولقـد جاء فى الـكتاب السنوى لعام ١٩٦٢/٦٣٪ أن الرقم القياسى لسنة ١٩٦١ كان ٤٥٥ أى أنه يبلغ ٥١٠ لسنة ١٩٦٢

٣ ـ وفى السنوات ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ ارتفعت أسعار سلعالتثمير اذ بلغ رقمها البيانى ٥٢٩ر٩ سنة ١٩٦٠ (على أساس ١٩٥٠ = ١٠٠)

٤ ـ تخفيض قيمة الجنيه الاسرائيلى عدة مرات فهبط بالنسبة الى الدولار الىنحو ٢ر٨٪ فى فبراير ١٩٦٢ مما كان عليه سنة ١٩٤٨ :

● هل يمكن الاعتماد على التصدير ؟

وثمة ناحية أخرى تلفت النظر ، فقد بلغت جملة المعونات المعلن عنها ٤٨٨٩٫٨ مليون دولار حتى منتصف عام ١٩٦٢ ، ومن هذا المبلغ نذكر التعويضات الألمانية • ومعنى هذا أن الاقتصاد الاسرائيلي اقتصاد قائم على العون الخارجي وليس على الامكانيات الذاتية • وهذا المورد الخارجي ليس بالمورد الذى لا ينضب :

١ ــ فقد انتهت التعويضات الالمانية التى كان لها أثر كبير فى دعم الاقتصاد الاسرائيلي ،وليس من صالح ألمانيا الغربية أن تحاول تقديم المساعدات الى اسرائيل لأن هذا كفيل بالقضاء على مصالحها الاقتصادية أو التجارية فى البلاد العربية •

٢ ــ ليس من الحكمة الاقتصادية الاعتماد المستمر على فيض الاعانات والهبات التى تجمعها المؤسسات الصهيونية فى البلاد الاجنبية أو التى تبعث بها بعض البلاد الاجنبية التى تتخذ من الصهيونيين أداة لخدمة أغراضهم •

● الاعتماد على العون الخارجي

وهنا نتساءل عما اذا كان فى الامكان رفع قيمة الصادرات مع بقاء الواردات على ما هى عليه أو تخفيض الواردات مع بقاء الصادرات على ماهى عليه ، وبذلك يتسنى انقاص عجز الميزان التجارى وهو الظاهرة التى يتسم بها الاقتصاد الاسرائيلي يجيب الدكتور صايغ على التساؤل بقوله « يتوجب الايضاح هنا أن حجم المستوردات رهن بحاجات التسلح والاستهلاك والتثمير وبحاجات التصدير على السواء •• وتخفيض المستوردات يتطلب الرضى بنقصان مستوى الثلاثة الأولى وهو أمر لا يبدو مستحبا فى اسرائيل » كما أن « رفع المصدرات يؤدى بذاته الى رفع المستوردات بموجب نسبة ما بينهما ، بل ان التطورات فى السنتين أو الثلاث الاخيرة تشير الى تدهور العلاقة بين المصدرات والمستوردات ، ففى ١٩٦٠ مثلا ارتفعت المصدرات فوق ١٩٥٩ بمقدار ٦٥ مليون دولار غير أن المستوردات ارتفعت بمقدار ٩٠ مليون ، وفى ١٩٦١ ارتفعت المصدرات بمقدار ٦٠ مليون دولار غير أن المستوردات ارتفعت بمقدار ١٢٨ مليون » •

مجمل القول أن مايقال له المنجزات الاقتصادية فى اسرائيل ، لا يستند الى القوى الذاتية لعمليات الانماء ، ولكنه يستند الى عوامل مفتعلة ، محلية وخارجية فاذا تراخت أو زالت أنهار البناء كله وتبددت الاسطورة • هذه هى النتيجة التى يبرزها الدكتور يوسف صايغ فى كتابه الذى يعتبر خير ما كتب فى هذا الموضوع باللغة العربية ، بل لعله البحث الوافى الوحيد بهذه اللغة • ومما يضفى على الكتاب قيمة حقيقية ، ما يسوده من منهج علمي وروح موضوعية ، كما أنه مدعم بالاسانيد والحجج المستقاة من المراجع والبيانات والاحصاءات الرسمية • وفى اعتقادنا أن الدكتور صايغ أسدى خدمة كبرى للقارىء العربى •

أرض البطولة الجزائر

عرض ونقد : حسن فتحي خليل

الجزائر ..
ارض البطولة ..
وبلد المليون شهيد ..

اى بلد أحق منها بهذا المجلد الضخم الذى وضعه الاستاذ يوسف فهمى الجزايرلى ، والذى أهداه الى المليون شهيد الذين رووا بدمائهم الطاهرة أديم التربة الجزائرية فى كثير من بقاعها ، والى من عذبوا وذاقوا أبشع أنواع الآلام من جيوش الاستعمار الفرنسى ولم يهادونوا ولم يستسلموا حتى جاءهم النصر المبين .

والكتاب يتضمن الكثير من المعلومات الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والسياسية والاجتماعية التى تستشف من خلالها الاطوار الطبيعية التى مرت بها البلاد الجزائرية والمراحل التى قطعها الشعب الجزائرى فى كفاحه المرير من أجل الحرية والحياةالكريمة صابرا مناضلا لا يتطرق الى جهاده الملل ولا يتسرب الى شعوره اليأس والاستكانة .

كما يحتوى الكتاب على تعريف واضحلثروات الجزائر وكنوزها الدفينة ويبين النهب المنظم المستمر الذى كان المستعمرون الفرنسيون وأذنابهم من المستوطنين يمارسونه للاستيلاء على خيرات البلاد الوفيرة فى جشع الاستعماريين المعروف .

والمؤلف يستند فيما دون منبيانات الى طائفة منالمصادر العلمية والتاريخية بالاضافة الى مشاهداته الشخصية حين زيارته للجزائر فى العشرينيات من هذا القرن .

ويتناول الكتاب أول ما يتناول التكوين الجغرافى للبلاد ، ثم يتكلم عن الكيان الاقتصادى ، وبعدها يتجه نحو التاريخ فيتحدث عن البربر والحضارات التى وفدت اليهم وأهم قبائلهم ، ثم الفتح العربى وما بعد الفتح العربى ، ثم الجزائر فى ظل الحكم التركى ثم الغزو الفرنسى ومراحله .

أما عن الناحية الاجتماعية فيتحدث المؤلف عن التعليم وازدهاره ثم أفول شمسه فى ظل الحكم الفرنسى .

ويختم بحثه بتدوين كثير منالعادات والتقاليد الجزائرية .

وأول ما نعرف من التكوين الجغرافى أن القطر الجزائرى العربى يقع فى الشمال الغربى من القارة الافريقية ، وان اسم الجزائر القديم هو «نوميديا» وأن فرسان نوميديا القدامى كانوا يتحلون بصفات البطولة ولهم شهرة ذائعة الصيت فى الفروسة ، وأن صفات هذه الفروسة ما زالت بارزة المعالم فى الشعب الجزائرى المغوار ونجدها حتى يومنا هذا فى كثير من صفات القبائل الدفاعية والهجومية وفى ركوب الجياد ولا سيما فى قبائل الطوارق بالمناطق الصحراوية الجنوبية

ويقول ابن خلدون ان تسمية البلاد بالجزائر يرجع الى أن قبيلة من بربر صهناجة تنتمى الى بنى مزغنى قامت ببناء مدينة فىموضع قرية «ايكوزيوم» أطلق عليها اسم « جزائر بنى مزغنى» وذلك لوجود جزائر صخرية على مسافة من الساحل تكون أمامها حاجزا طبيعيا وظل اسم الجزائر يطلق على مدينة الجزائر فقط ردحا من الزمن ثم شملت التسمية البلاد الجزائرية باكملها .

وطبيعة الارض الجزائرية تختلف فى تضاريسها ، وتتكون فى مجموع كيانها العام من كتلة متماسكة من الاراضى المرتفعة تفصلها عن ساحل البحر الابيض المتوسط وعن الصحراء الكبرى حافتان جبليتان هما أطلس التل واطلس الصحراء ، وتتوسط هاتين الحافتين فى جهة منطقة وهران الواقعة فى غرب البلاد فرجة يبلغ اتساعها مائتين وخمسين ميلا .

ولوجود القطر الجزائرى بين البحر الابيض المتوسط وهو مركز شديد التبخر نسبيا وبين الصحراء الكبرى وهى مركز حرارة قوية فان المؤثرات المناخية المتعارضة تتنازعه وتكون فى أرجائه أخلاطا مختلفة تتفاوت فى تباينها وفاقا للقرب من البحر أو البعد عنه ووفاقا لارتفاع المناطق أو انخفاضها عن سطح البحر وتبعا للاتجاه شمالا أو جنوبا أو شرقا أو غربا .

ولذبذبة سقوط المطر ـ اذ ينزل مبكرا فى بعض الاحيان ومتأخرا فى أحيان أخرى ـ فان هذه الذبذبة المضطربة تؤثر فى تحديد أهمية الأمطار بالنسبة الى البلاد الجزائرية فى مجموعها ـ ففى مناطق عديدة من

من مطبوعات : الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ الاسكندرية

٦٠٠ صفحة ـ قطع ٢٤×١٧ سم

البلاد تسمح كميات الأمطار بالزراعة، غير أن تلك الذبذبة المتقلبة تضيق نطاق الفائدة منها وتقوى عناصر احتمال الخسارة فى حالة المجازفة بزراعة كثير من البقاع .

ولسقوط الثلج فى الجزائر فائدة هامة ، فهو يعد مصدرا من مصادر الرطوبة الكبيرة النفع فى فصول الجفاف ، فبمجرد حلول فصل الحرارة تأخذ الثلوج المتراكمة فى الذوبان وتمد الوديان والانهار بأقوى مواردها من المياه العذبة .

والى جانب المطر والثلج يحصل القطر الجزائرى على مصدر ثالث للرطوبة لا يقل أهمية عنهما فى المجال الزراعى وهو الضباب الذى ينتشر عادة فى فصل الامطار ولا سيما بالقرب من المناطق الساحلية ويترتب على انتشاره ارتفاع فى درجة الرطوبة مما يهيىء الظروف الملائمة للزراعة حتى فى الجهات الشحيحة المطر .

ثم يتحدث المؤلف بعد ذلك عن أنهار الجزائر وجبالها ومناطقها الجبلية والصحراوية موضحا أن الأبحاث الجيولوجية التى أجريت على طبيعة أراضى منطقة الصحراء فى مستهل القرن العشرين قد دلت على وجود كميات هائلة من زيت النفط (البترول) والغاز الطبيعى فى جوف تربتها ، فأسرع الفرنسيون المستعمرون الى فصلها اداريا عن القطر الجزائرى ليتحكموا فى شئونها وفى ثرواتها المعدنية الكبيرة كما يحلو لهم ، فجعلوا لها نظاما خاصا يخضع للأحكام العرفية وميزانية مستقلة وذلك وفاقا لأحكام القانون الجائر الذى أصدروه فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ وقد أطلق هذا القانون على هذه المنطقة الجزائرية تسمية استعمارية بغيضة هى « ولاية الجنوب » .

وينتهى المؤلف من هذا الفصل الى [illegible] طبيعة البلاد الجزائرية الخشنة التى تسودها الصحراوات ساعدت الى حد بعيد على القوة الدفاعية الفذة التى يتحلى بها المجاهدون الأبطال الذين روضوا الجيوش الفرنسية القاضية طوال حرب التحرير المريرة لأنهم يعرفون مجاهل تلك المناطق الجبلية وأسرار مفاوز الصحراوات فى كافة أنحاء القطر الجزائرى فكتب لبطولتهم وشجاعتهم وبسالتهم النصر المبين .

أما من ناحية الكيان الاقتصادى للجزائر فان القطر الجزائرى يعد من الاقطار الزراعية الهامة ، وتجود تربته الخصبة بحاصلات وفيرة من جميع أنواع حاصلات حوض البحر الابيض المتوسط الزراعية علاوة على المراعى المترامية الاطراف التى تساعد على تربية الثروة الحيوانية .

ولقد نفذ الفرنسيون المستعمرون عدة مشروعات للرى بعد أن استولوا غصبا على مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية فى السهول والاودية التى تقع فى منطقتى الساحل والتل لوفرة خصوبتها وذلك تطبيقا للقرارات الاستعمارية الظالمة التى انتزعت بمقتضاها تلك الاراضى من ملكية المواطنين الجزائريين ومنحها غنيمة سلبية للفرنسيين النازحين من فرنسا ولمعاونيهم المستوطنين من مختلف الجنسيات .

ولقد كان للصراع حول ملكية الاراضى الزراعية أشد وأعنف المعارك التى خاضها الجزائريون عبر نضالهم الطويل المرير من أجل الحرية والاستقلال ، وتكررت ثوراتهم على الظلم الذى لحقهم من جراء اغتصاب هذه الاراضى فى غير رحمة أو شفقة .

ولقد اضطروا آخر الامر وبحكم الظروف القاسية وازاء الجبروت الاستعمارى الى التراجع مؤقتا ليستعدوا لحرب التحرير الطاحنة ، فجلوا كارهين عن اقليم التل الخصب ولجأوا الى المناطق الجبلية ثم الى المناطق الصحراوية فى الجنوب .

ومن الحيل التعسفية التى اتبعتها فرنسا فى انتزاع ملكية الاراضى من أهل البلاد سماحها السخى بعد عام ١٨٤٧ باستيطان الاوربيين بالجملة فى القطر الجزائرى بغية القضاء على الروح المعنوية للشعب ، فكان لكل أوروبى مغامر يمتلك ما يعادل ٥٦ جنيها أو أكثر الحق المطلق فى الهجرة الى

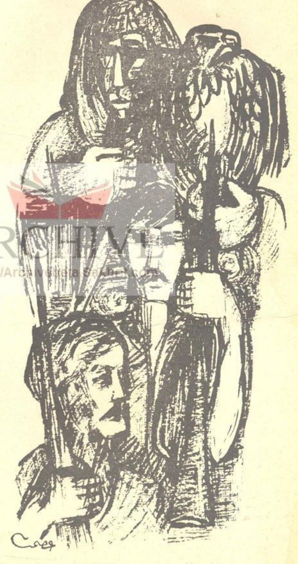
الجزائر ليمنح قطعة أرض زراعيةخصبة قد تصل الى ثلاثين فدانا مع مده بالمساعدات المالية الاخرى كمواد البناء والآلات الزراعية والبذور . وقد زاد مقدار مايمتلكهالفرنسيون والمستوطنون الاوروبيون من الاراضى الزراعية قبل فجر الاستقلال على ٣٠ ٪ من مجموع هذهالاراضى مع أنهم كانوا قلة لاتتعدى نسبتهم العددية ١٠ ٪ من مجموع السكان .

ثم يتحدث المؤلف بعد ذلك عن الزراعات المختلفه مثل الحبوبوالكروم والخضر والفاكهة ونبات الحلفاء والقطن والقش النباتى والتبغ والبنجر السكرى ثم الغابات .

أما عن الثروة المعدنية فان جوف التربة الجزائرية يزخر بخامات المعادن النافعة المختلفة مثل مناجم الفحم والبترول والحديد والمنغانيز والكروم والنيكل والزنك والرصاص والزئبق والزرنيخ والنحاس والكبريت وكلورور الصوديوم والفوسفات والجير ونترات البوتاس ، وكذلك توجد بها المحاجر التى تحتوى على الفخار والخزفوأحجار البناء والطباشير والجبس والرخام والرمل .

وتقدر قيمة صادرات الثروة المعدنية ـ بالرغم من ظروف القصور فى الاستغلال ـ بما يوازى ١٢٪ من قيمة صادرات البلاد الاجمالية .

وفى ميدان الصناعة ، فقد كان المستعمرون والمستوطنون الاجانب يستأثرون باستغلال جميع مواردالثروة المعدنية الجزائرية تقريبا ، فكانوا يستأثرون أيضا بنصيب الاسد من موارد الصناعة المالية ، فكانوا يملكون أغلب المصانع الهامة فى البلاد ، يضاف الىذلك المتاجر الكبيرةوالصناعات ووسائل المواصلات والمصارف ، أما الجزائريون فكانوا يكدون ويكدحون ليشتروا من هؤلاء الغاصبين حاجاتهم من المنتجات الفرنسية التى يفرضها عليهم الاستعمار فرضا ويحميها من المنافسة الخارجية . وعلاوة على ذلك فان القروض الصناعية والزراعية ورخص الاستيراد والتصدير كانت لا تمنح للجزائريين الخلص الا اذا ثبت للسلطات الحاكمة الاستعمارية أن



ميولهم تؤيد أساليب الاستعمار فيما يقترف من مظالم ويمارس من ضغط وتحكم خانق .

ومن هذا كله يتضح أن الاقتصاد الجزائري كان مكبلا ، تابعا للاقتصاد الفرنسي، يتحكم فيه حسبما يشاء دون أن يستطيع التخلص من ربقته الملعونة، لولا أن قيض الله لفكه من أغلاله أبطال جيش التحرير ، فاستطاعوا ببطولتهم تحطيم هذه الربقة الخبيثة ليسير الاقتصاد الجزائري طليقا في سبيل الابقاء والنمو المطرد .

ويتجه المؤلف بعد ذلك الى الناحية التاريخية فيتحدث عن البربر والحضارات التى وفدت عليهم وأهم قبائلهم .

فالبربر هم سكان الجزائر القدامى الذين استقروا في أرجائها ، ويؤكد أغلب المؤرخين والجغرافيين أن بربر الجزائر ينحدرون من السلالة النوميدية ، والبربر كالعرب يمتازون في سلوكهم الاجتماعي بالخشونة والجلد والشجاعة وحدة الطبع والخلق ، والرغبة في القتال والتعصب للنظام القبلي والاحتفاظ بالعادات والتقاليد الموروثة والتمسك بها ، ولهم خصائص أخرى ينفردون بها منها السذاجة وسهولة الاقتناع والبساطة ووفرة الايمان .

ولقد مرت على بربر الجزائر عدة حضارات تركت بعض الآثار التى تنم عليها في أنحاء شتى من بلادهم ، وترجع أسباب ذلك الى موقع الجزائر الممتاز على البحر الابيض المتوسط، مما جعلها ملتقى تلك الحضارات المختلفة.

وأول الموجات البشرية التى وفدت على البلاد المغربية كانت الموجة الفينيقية فقد نزح الفينيقيون الى افريقية (تونس) وأسسوا مدينة قرطاجة ثم شيدوا موانى سوسة وبنزرت وعنابة ومليلة وطنجة ، وهكذا قامت الدولة القرطاجية التى تستمد اسمها من عاصمتها مدينة قرطاجة، ولم يحل القرن السادس قبل الميلاد حتى شملت سيطرتهم بلاد الجزائر بأسرها .

وظل القرطاجيون قائمين بالحكم في الجزائر حتى أجلاهم عنها الرومانيون ودخلت بلاد المغرب بأسرها ضمن الامبراطورية الرومانية .

ويدلنا التاريخ على أن الجزائريين لم يستكينوا للحكم الروماني منذ بدايته على الرغم من التجاء روما الى تعيين حكام قساة لقمع أي خروج على طاعتها ولم يجد الرومانيون بدا من أن يتركوا الحكم في أيدى الجزائريين أنفسهم وأن يقنعوا بالاشراف غير المباشر عليهم.

وليس بين المؤرخين خلاف في أن الحضارة الرومانية تركت آثارا بارزة في الكيان العام للبلاد المغربية ، فقد وضحت معالم تلك الآثار على مراحل تناولت أكثر أساليب الحياة المغربية بالتعديل الجذرى .

وكان من نتائج العداوة التى استحكمت حلقاتها بين الرومانيين والنوميديين (الجزائريين) وبغضهم الشديد للاستعمار والاستغلال الروماني أن فتح الطريق أمام الوندال لغزو الجزائر ، وقد مكث هؤلاء الغزاة بالبلاد مائة وسبعة وعشرين عاما .

والوندال قوم ينتمون الى الجنس الجرماني الذى يخالط أجناس السلالة السلافية وكان مستقرهم الاصيل في أوروبا الشمالية .

ولم يجد الوندال من بربر الجزائر أي خضوع أو أية معاونة طوال سنى حكمهم للبلاد ، فعمدوا الى تجنيدهم بغية كبح جماح ثوراتهم ثم شنوا عليهم حربا طويلة الامد لم يخب لها أوار حتى جلوا عن الجزائر مطرودين حين سقطت قرطاجة في أيدى البوزنطيين

وبمجرد أن استتب الامر للبوزنطيين في بلاد المغرب شرع الامبراطور جوستنيان في تطبيق النظم الرومانية دون الاهتمام برغبات الشعب وشعوره، ولذا ما لبثت قبائل البربر أن شقت عليه عصا الطاعة وعاد النزاع بينهم وبين البوزنطيين حتى الفتح العربى .

ومن الحضارات الدخيلة التى وفدت على البربر الهجرات اليهودية ، فمنذ القرن الثالث قبل الميلاد أخذت وفود متتالية من اليهود ترد على المغرب في عدة هجرات استمرت حتى القرن السادس عشر . وعاش هؤلاء المهاجرون في معزل عن الجزائريين كعادتهم في كثير من البلاد التى آوتهم ، فكانت لهم دائما أحياء خاصة ، ولا سيما في المدن الكبيرة ، تفصل مساكنهم عن مساكن المواطنين ، ويدلنا التاريخ على أن المهن المفضلة لديهم كانت التسليف بالربا ومزاولة الاعمال المالية مما أتاح لهم الفرصة السانحة للسيطرة على التجارة والحركة الاقتصادية في البلاد.

وما من شك في أن دخول سكان المغرب الى الاسلام كان له أعمق الاثر في تغير سلوكهم الاجتماعي العام وفي تطوير هذا السلوك تطويرا قويما كان من نتائجه هذه البطولة النادرة التى سمعنا بمعجزاتها الدفاعية المجيدة طوال سنى حرب التحرير الباسلة التى أصبح ذكرها العاطر مثالا لأمجد حروب التاريخ في مراحله المتعاقبة الماضية .

ولقد جاء العرب الفاتحون الى بلاد المغرب والخلاف الدينى على أشده في قرطاجة بين مذاهب القائلين بالمشيئة الواحدة للسيد المسيح وبين القائلين بثنائية هذه المشيئة ، وقد فرق هذا الخلاف أوصال الجماعات المسيحية وكان فرصة مواتية للفتح العربى .

وليس من السهل تحديد تاريخ معين لأول غزوة قام بها العرب لفتح بلاد المغرب ولا سيما أن أخبار غزواتهم الاولى يكتنفها الكثير من الروايات التى لا يستطاع الاطمئنان الى صحتها في غير تحفظ ، على أنه من المستطاع الربط بين غزوتهم لاقليم برقة في ليبيا وبين ذلك التاريخ على وجه التقريب لمحاولة التعرف على الوقت الذى وصلت فيه أولى الحملات العسكرية العربية الى البلاد التونسية .

ويعدد المؤلف الغزوات التى قام بها العرب في الخلافات المتوالية حتى تم لهم غزو بلاد المغرب .

ولم يكن من العسير في شيء امتزاج البربر المغاربة بالعرب الفاتحين منذ أن دخل سكان شمال القارة الافريقية في

الاسلام ووقفوا على سجاياه الدينية والأجتماعية والخلقية ، وترجع السرعة التى تم بها هذا الامتزاج الكلى الى اقتراب الجنسين الحامى والسامى من بعضهما فى الخصائص ، والى أن العرب والمصريين – وكانوا يمثلون نسبة كبيرة من جيوشهم التى قامت بالفتح – اتخذوا من بلاد البربر وطنا ثانيا لهم فساروا مع أهل البلاد جنبا الى جنب فى العمل والمصاهرة والاختلاط وذلك على النقيض مما كان البربر يتبعونه حيال الفينيقيين والقرطاجيين واليونانيين والرومانيين والوندال والبوزنطيين واليهود ٠

ولقد كان من البربر فحول من العلماء والشعراء والفلاسفة ألفوا فى العلوم العربية والشرعية وكأنهم من اقحاح العرب الخلص ٠

ويتناول المؤلف فى حوالى مائة وسبعين صفحة وفى تفاصيل كثيرة مملة أحيانا مراحل الفتح العربى والدول العربية التى تعاقبت على المغرب أثناء ذلك فيتحدث عن ظهور الخوارج فى المغرب وفتنتهم والولاة الذين تعاقبوا فى الحكم ثم دولة الادارسة ودولة الفاطميين ودولة بنى زيرى ودولة بنى حماد ودولة المرابطين ودولة الموحدين ودولة بنى مرين ودولة بنى زيان ودولة بنى حفص الى أن يصل الى الجزائر فى ظل الحكم التركى ٠

فقد كان من نتائج اضمحلال دويلة بنى عبد الواد (بنى زيان) وانكماش سلطانها وانحصار ملكها فى الجزء الغربى من القطر الجزائرى ، وتفكك كيان دولة بنى حفص فى تونس أن قام الحكم التركى بالجزائر، ويرجع الفضل فى ذلك الى عروج بن يعقوب الذى يعرف عنه الافرنجة ببرباروس الاول أى صاحب اللحية الشقراء ، ثم أخيه خير الدين بارباروس الثانى ثم ولاية حسن أغا على الجزائر ومن بعده حسن باشا بن خير الدين بارباروس ثم خلفاءه من بعده ثم تفاقم خطر الجنود والاغوات وطغيان تحكمهم فى شئون الدواوين وامور الحكم نفسه فعظم شأنهم واشتد عسفهم وتضاءلت سيطرة الولاة الباشوات أمامهم ، وقد استطاع هؤلاء اغتصاب السلطان فترة من الزمن واستمر الحال على هذه الوتيرة الى أن آلت السلطة الى الدايات ٠



وكلمة الداى – كما يقول المؤلف – فى اللغة التركية تعنى (الخال) ويصرفها بعض اللغويين العرب على أنها تحريف لكلمة (الداعى) على اعتبار أنه كان الداعى لطاعة الدولة العثمانية والخضوع لسلطانها ٠

وكان قيام نظام الدايات فى الجزائر نتيجة لفتنة قام بها رؤساء القراصنة الذين ضاقوا ذرعا باستبداد الاغوات فاستعاضوا عنهم برئيس يعهدون اليه بتقلد الحكم طيلة حياته ولقبوه بالداى ٠

وعلى الرغم من بسط الترك سلطانهم على القطر الجزائرى مدة طويلة منذ عهد عروج برباروس الاول فان الجزائريين لم يستسلموا للطاعة التامة للحكم التركى ، فكانوا يهبون من وقت لآخر بغية الوصول على استقلال بلادهم واستخلاص حكمها لبنيهم دون سواهم، ومن هذه الانتفاضات التى كادت تقضى على كيان حكم الاتراك فى الجزائر الثورات المتكررة التى قام بها أتباع الطريقة الصوفية الدرقاوية ، غير أن القدر لم يكتب لهم النصر النهائى لبلوغ هذه الغاية الوطنية التى لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ بالنسبة للجزائر العربية ، ولقامت منذ ذلك الحين فى ربوعها دولة جزائرية عربية خالصة تستطيع بجهاد أبنائها البطولى صد أى عدوان خارجى فى بسالة وايمان راسخ بحق شعب الجزائر فى الحرية الكاملة والاستقلال التام ٠

وتوالت الهزائم على الدرقاوين فاستسلموا فى النهاية واستطاع الترك الانتقام من الثوار بكيفية لا تنطوى على أى شعور بالرحمة ٠

وظل حكم الدايات الى أن كان آخرهم هو الداى الحسين باشا ابن الحسن الذى انتهى عهده بالغزو الفرنسى المشئوم بعد أن دبت عناصر الضعف فى كيان حكم الاتراك ٠

وهكذا يحرر المؤلف حوالى سبعين صفحة أخرى فى تفاصيل مزهقة أحيانا عن الحكم التركى والولاة والدايات يستطرد فيها أحيانا الى جزيئيات ليست فى الصميم ٠

ثم يناقش المؤلف بعد ذلك ادعاءات الغـــزاة الفرنسيين فى أنهم وجـدوا الجزائر عند غزوهم المشئوم فى حالة بعيدة كل البعد عن مظاهر العمـران الحضـــارى أو فى حالة ركود ثقافى فيدحض هذه الادعاءات موضـحا الآثار الخالدة التى تضمهــا أنحاء القطـر الجزائرى المختلفة، ثم يسرد حياة بعض العلماء والادباء الجزائريين وانتاجهم الثقافى القيم على سـبيل المثال مدونا سيرهم مثل عبد الســلام سحنون ، ابن الصـغـير ، أبو محمد عبد الله التغزاوى ، ابن رشيق الأزدى ، أبو سهل الفارسى النفوسى ، سيـدى احمد الشـاوى ، تميم بن المعز بن باديس ، ابن طفيل ، ابن الحراث عبد الحق الاشبيلى ، عبد المؤمن بن على الكومى ، ابن معطى ، أبو مدين ، التناونى ، التلمسـانى ، الغبرينى ، ابن خلدون ، البرادى، الـسنوسى ، الثعمراوى وغيرهم

ثم يتناول المؤلف بعـــد ذلك أهم المدن الجزائرية ويقدم بندا عن تاريخ كل منها .

وفى الفصل السابع عشر يتحـدث المؤلف عن الغزو الفرنسى ومراحله ، مبتدئا بالاسباب التاريخيـــة للغـزو المشئوم موضحا أن داى الجزائرمصطفى باشا الخزنجى قام بتصـــدير كميات وفيرة من القمح الى فرنسا واقرضهـا فى الوقت نفسه مبلغا يساوى خمسة ملايين من الفرنكات . ولكن فرنسا لم تؤد هذا الدين ، واستمر الحال على ذلك حتى عام ١٨٢٧ اذ طـالب داى الجزائر الحسين بن الحسن فرنسـا بدفعالدين على الفور وفاتح سفيرها المسيو ديفال برغبتـــه على مسمع من جميع الذين كانوا فى حضرته يوم عيد الفطر ، ولما أن طال الجدل بينـه وبين السفير ، احتد الداى وضرب السفير بطرف مروحته على وجهه .وللحصـول على الترضية اللازمة لما أسمته فرنسا بالاهانة لســفيرها أرسلت جزءا من أسطولها فحاصر مدينة الجزائر ، غير أن المفاوضات كانت دائرة بينالحكومتين أثناء ذلك الحصار . ولما لم يجد الداى أية فائدة من الاستمرار فى المفاوضات أمر بضرب أكبر سفينة حربية فرنسية فى ميناء الجزائر نفسه كما أمر بتدمير المنشآت التابعة لفرنسا فى ميناء القالة عند الحدود الجزائرية التونسية وبهدم الابنية التى أقامها التجار الفرنسيون فى مدينة الجزائر ومدينة عنابة .

وهنا يقول تاريخ المســتعمرين أنه ازاء هذا التعدى الصارخ لم يكن فى وسع فرنسا الا أن تعلن الحـرب على الجزائر ، ففى ٣١ يناير سنة ١٨٣٠ أعلنت فرنسا الحرب رسميا علىالجزائر وفى ١٦ يونيو من السنة نفسها بدأت أقدام الجيـوش الفـرنسية تطأ أرض الجزائر عند قرية سيدى فرج الكائنة فى الجهة الشرقية من مدينة الجـزائر العاصمة ، ولم يستمر القتال بينجنود الداى والجنود الفرنسيين فى مدينـــة الجزائر أكثر من أربع وعشرين ساعة طلب الداى فى نهايتها الصلحوالخضوع الى الشروط التىفرضها عليها المارشال ده بورمون ، ومن ضمن الشروط أن يحتفظ الداى بكل ثروته الخاصة وأن يذهب الى حيث يريد هو والجنودالترك وأفراد عائلته ، وهكذا لم يكن حكم البـــلاد فى نظر الاتراك الا وســـيلة لاستغلالها وسرعان ما يتخلون عنها فى مقابل ان تضمن لهم الدولة الغاصبة حياتهم وحياة جنودهم .

ولقد أثار سقوط الجزائر فى أيدى الفرنسيين موجة من الحزن والاسى فى نفوس أفراد الامة العربية من المحيـط الى الخليج ، وتم لفرنســـا ما كانت تهدف اليه من مقاصد سياسية كانت السبب الحقيقى فى غزو البلاد العربية وأهمها موقع الجزائر الجغرافى لتقوى مركزها فى غرب البحر الابيض المتوسط حتى تأمن شر الانجليز الذين يقبضون على صخرة جبل طارق .

وهكذا حاولت فرنسا مباشرة الغزو الكامل للبلاد واشتدت مقاومة الشعب لما كان يأتيه الفرنسيون من أعمـــال وحشية وانتهاكللحرمات وقتل للابرياء مما زاد فى ثورة الشعب الذى صمم على الانتقام من هؤلاء الطغاة المفسدين، ولقد اجتمع الاعيان فى تلمسان والحوا على الفقيه محيى الدين بن عبد القادر أن يقبل بيعتهم على الامارة والجهاد ، فقبل الجهاد ورفض الامارة ، وكانت له معارك مشهورة مع جيوش الفرنسـيين الحق بهم خلالها هزائم فادحة . ولكبر سنه وعجزه عن مواصلة القيادة أشار على أتباعه بمبايعة ولده عبد القادر بن محيى الدين بالقيادة والامارة ، لما كان عليه هذا البطل من علو الهمة وحسن التصرف والشجاعة والسماحة ، فاجتمع الاعيان والعلماء فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٣٢ وبايعوا الامير عبد القادر ولقبوه بناصر الدين ، فذهب من توه الىمدينة معسكر وأم مسجدها الكبير وقام فى الناس خطيبا يحثهم على الجهاد .

والامير عبد القادر بن محيى الدين شخصية بطولية عظيمة القدر ، شهد له عدوه الجنرال سولت بعلو الهمـة وشرف النفس فقال عنه : « لا يوجد الآن فى الدنيا بأسرها الا ثلاثة رجال يستحقون لقب العظيم عنجدارة صادقة أحدهم هو«عبد القادر بن محيالدين» وقد وصفه أهل فرنسا أنفسهم فىذلك الحـين ببعض أبيـــات كانت تغنى فى الطرقات بباريس وتدل فى جلاء على أنهم كانوا يقدرونه حـــق قدره على الرغم من عداوتهم له :

« هو السلطان الذى ولد فوقفروع النخيل .

« هو ذلك الشجاع الذى يصحب الاسود المفترسة ..

« هو ذلكالعربى الغضوب ذوالعينين الهادئتين ..

« هو ذلك الامير المفكر القـــوى الشكيمة اللطيف الجانب »

ودخل الامير عبد القادر حلبةالميدان دفاعا عن الوطن عام ١٨٣٢ وكان عمره اذ ذاك حوالى خمسة وعشرين عاما . ولكى يقوى عزيمة المحاربين على القتال جعل الدفاع عن الدين شعارا ، على حين أنه لم يكن متعصبا دينيا كمـــا اعترف بذلك أحد معاصريه من كبـــار الكتاب الفرنســـيين . ولقد لاقى فى بادىء الامر عناء كبيرا فى جمع كلمة الجزائريين على الجهاد ولم شملهمتحت لوائه ولكن حسن رويته وصبره على

الكروب وجلده على الدفاع عن الوطن كانت العناصر القوية التى جعلته يستطيع التغلب على جميع الصعاب التى اعترضت سبيل غرضه الشريف .

ولكى يأمن الامير البطل صداقة سلطان مراكش سعى سعيا متواصلا حتى حصل على هذه الصداقة عام ١٨٣٩ اذ عين السلطان خليفة .

وهكذا لما آنس فى نفسه القوة بعد أن أمن غدر القبائل الثائرة التى جاءته مطيعة ، وحصل على صداقة سلطان مراكش وأعد للدفاع جيشا منظما أعلن الحرب رسميا على فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨٣٩ بعد أن دوخ جيوشها فى مناوشات عديدة كلفتها ثمنا باهظا من بيت المال والارواح ، ودامت تلك الحرب المنظمة التى أضرم الامير نارها خمسة عشر عاما متوالية .

وفى اليوم المحتوم وهو ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧ استسلم الامير وخلع سيفه بين يدى الجنرال لامور يسيير الذى قاده الى معسكر الجيش الفرنسى حيث قدمه الى الدوق دومال أحد أبناء لويس فيليب ملك فرنسا اذ ذاك ، ولم تخن الامير شجاعته ولا ثباته ولم تغادر ابتسامته اللطيفة شفتيه ، :قال لابن الملك فى تؤدة : « انى أفعل اليوم ما كان محتوما ومكتوبا فى لوح القدر » .

ولم يسترد الامير حريته لا فى خلال عام ١٨٦٠ فى عهد نابليون الثانى اذ سمح له بالسفر الى سورية حيث قضى المدة الباقية من حياته بدمشق بين اجلال الناس واحترامهم .

ومع هذا فلم يستتب الامر نهائيا لفرنسا فى القطر الجزائرى الا بعد عام ١٨٧٢ ، ومن ثم فقد دامت الحرب بين الجزائريين المدافعين عن حرية بلادهم وبين الفرنسيين الغاصبين المستعمرين اثنين وأربعين عاما .

ولم يهدأ للجزائريين بال طوال مدة الاستعمار الفرنسى البغيض فكانوا يثورون على حكمهم الغاشم كلما سنحت الفرصة لقيام الثورة ، فعندما أعلنت الحرب العالمية الاولى فى أواخر عام ١٩١٤ قام الجزائريون بثورة عارمة ضد فرنسا فكونوا فرقا للهجوم على المستعمرين مما اضطر فرنسا الى ايفاد معظم أفراد الفرق المرابطة فى الجزائر وتونس على الرغم من احتياجها الشديد اليهم فى ميادين القتال بشمال فرنسا وعززتهم بفرق جلبتها من فرنسا نفسها ، ولم يخب أوار هذه الثورة الا بعد ستة أشهر خسرت فرنسا أثناءها خسائر جسيمة واستشهد خلالها كثير من أبناء الجزائر .

واقترفت فرنسا طوال مدة الاستعمار أعمالا عدوانية وحشية تفوق حد الوصف ، فلجأت على مر الاعوام الى تعذيب المواطنين وقمع الحركات الوطنية بكل ما لديها بمد قوة البطش والارهاب .

وفى سنة ١٩٣٨ تألف « الاتحاد الشعبى الجزائرى » الذى لم يمارس نشاطه طويلا اذ قامت الحرب العالمية الثانية فى أواخر عام ١٩٣٩ وخضعت حكومة الجزائر لحكومة « فيشى » حتى عام ١٩٤٢ اذ نزلت قوات الحلفاء احتلت أرض الجزائر وصارت البلاد مقرا لحكومة الجنرال ديجول • وفى هذه الاثناء اتجهت فرنسا الى تطبيق أرباح الجزائر فى الكيان الفرنسى نفسه، وعمدت للوصول الى هذه الغاية الى قطع كل رابطة بين الجزائريين واخوانهم العرب فبادرت الى فرض اللغة الفرنسية على أبناء البلاد .

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ثار الجزائريون عام ١٩٤٥ وعقب هذه الثورة تكونت الجمعية التى أطلقتعلى نفسها « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » وكان لأفراد هلاه الجمعية الفضل فى توجيه نظر الشعبالجزائرى الى قومية العربية كما كان لهم الفضل فيما وقع من أحداث ثورية بعد ذلك •

وفى أول نوفمبر سنة ١٩٤٥ اندلعت نيران ثورة التحرير الكبرى فى جميع أنحاء القطر الجزائرى ، فحشدت فرنسا الجيوش العارمة لاخمادها ، لكن لهيبها يشتعل ويزداد قوة فلم يستكن الشعب الجزائرى أو يركن الى المهادنة طوال السنوات السبع التى قدم خلالها مليونا من الشهداء الابرار•

وفى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٨ أعلن مولد الجمهورية الجزائرية العربية . وتألف على الاثر جيش جزائرى منظم أقسم قادته وجنوده أن يواصلواالقتال حتى النصر ، ولقد تحقق لهم ما كانوا يصبون اليه ، وها هى الجمهورية الجزائرية تتبوأ مكانها المرموق بين الدول العربيةوينظر اليها شعوب العالم أجمع على أنها رمز الفداء السخى فى سبيل تخليص الوطن من براثن الاستعمار والاستغلال والاستبداد •

وقد وعد المؤلف بوضع كتاب خاص عن سيرة جبهة التحرير والثورةالمجيدة ونرجو الله أن يمنحه القوة والعمر ليفى بهذا الوعد •

ويتناول المؤلف بعد ذلك فصلا عن الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسى موضحا به نظام الحكم فى ظله ثم نظام التعليم ثم أسباب حرب التحرير الاقتصادية •

ثم ينهى كتابه ببيان بعض العادات والتقاليد لدى الجزائريين ••

وهكذا •• ومن هذا السرد المفصل المطول نجد أن شعب الجزائر قد تحمل من قسوة الاستعمار وأهواله الكثير ولكنه قدم من أجل حريته واستقلاله العدد الهائل من الشهداء الابرار يذكرون [illegible]

وبعد •• فهذه رحلة طويلة عبر قام مؤلفه بجهد ضخم مشكور ، وكان كتاب « أرض البطولة : الجزائر » يمكن أن يكون الكتاب أكثر تركيزا ، فقد تخللته تفاصيل كثيرة مملة أحيانا ويمكن التغاضى عنها مما جعل المؤلف أحيانا يكرر بعض الحوادث والمواقع والاوصاف فى ثنايا الكتاب ، وجعله أيضا يستطرد فىبعض النقاط ولايركز على الموضوع الاصلى الذى هو بصدده •

والكتاب كما نرى مجرد عرض عام من جميع النواحىالجغرافية والتاريخية ولو انه لم يتناول الناحية الاجتماعية بهذا الاسهاب الكبير الذى تناول به الناحيتين الجغرافية والتاريخية •

والكتاب وان لم يركز على نقطة بحتة معينة موضحا أسبابها ومسبباتها، بل هو خليط من جغرافيا وتاريخ واجماع ـ ان قلنا بذلك الاخير جوازا ـ فان توزيع الجهد فيه واضح أفقده العمق المطلوب •

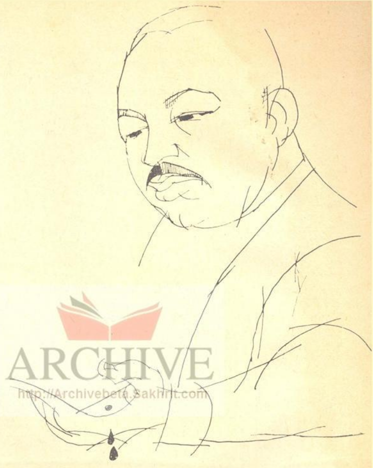
ولكن •• ان الشعور الذى يحسه القارىء قطعا بعد الانتهاء منه أنه جهد كبير •• بل وكبير جدا •• يستوجب شكر المؤلف والدعاء له بالقوة وطول العمر ليخرج الينا ما وعد به عن جبهة التحرير الجزائرية •

وهكذا •• فبين أيدينا كتاب قيم يوضح النموذج لكل الشعوب المغلوبة على أمرها •• ويهديها الى كيف عرف شعب الجزائر أن يستميت من أجل حريته حتى تبوأ مكانه المرموق بين أمم العالم •

حسن فتحى خليل

لماذا نفد صبرنا





« سوف يأتى عصر رائع ..

« ولن يطول انتظاره ..

« فهو فى الطريق الينا منذ أمد بعيد .. بعيد .. »

بهذه الأغنية الحزينة يترنم الانسان الزنجى المقهور فى أمريكا على أنين عذاباته وانتظاره الطويل المرير تحت سماء ليل من الاضطهاد العنصرى الفظ ، ليل أمتد شتاؤه ما يربو على ثلاثمائة وخمسين عاما . فمنذ ذلك اليوم البعيد من عام ١٦١٩ عندما وطأ عشرون زنجيا ـ جلبوا من افريقيا ـ أرض أمريكا لاول مرة ، والانسان الزنجى يعانى من العنصرية ، ويحلم بالعصر الرائع : عصر المساواة اللونية والاجتماعية .

ولكم طال هذا العصر الرائع حقا ! وكان لابد ان يطول . لأن العصور الرائعة لاتحققها الاغانى المفعمة بالشوق والحنين ، كما لا يعجل بها الصبر المترع بالأسى والهزيمة ، وانما يحققها شىء واحد هو : الثورة . أجل الثورة ! .. على ان تستلهم عنفوانها وصلابتها من أشواق الانسان الطامح أبدا الى غد يفيض بالحب وتدفئة شمس المساواة .

وعندما طال انتظار الزنوج حتى نفد صبرهم .. كانت « الثورة » التى اندلعت فى ربيع عام

تأليف : مارتن لوثر كنج
ترجمة : عديلة حسن مليس
مراجعة : مصطفى حبيب
الناشر : سجل العرب - ١٦٣ صفحة

عرض ونقد : محمد عيسى



١٩٦٣ . وهنا لابد من المبادرة الى القول بأن وصف ما قام به الزنوج فى أمريكا عام ١٩٦٣ بـ « الثورة » هو وصف مبالغ فيه . لماذا ؟ .. لأن الثورة هى تدمير للواقع القـديم ، وطموح خلاق لبناء عالم جديد له مثاليات جديدة بيد ان ما حدث فى امريكا فى ذلك العام لم يكن «ثورة» وانما كان « مسيرة سلمية » تستهدف تطبيق قوانين الحقوق المدنية .. وكان يقودها قسيس زنجى هادىء ومتزن هو : مارتن لوثر كنج .

ومن ثم لم يمتشق ثوار هذه المسيرة الزنجية البنادق والقنابل ، بل ولا حتى الطوب ، وانما امتشقوا تعاليما اخلاقية يطبعها مبدأ «اللا عنف» هذا المبدأ الذى يبشر به ويدعو اليه ، فى حماس دينى مشبوب ، مارتن لوثر كنج . ومن هنـا التقطت أجهزة الاعلام الامريكية هذا الشـاب الهادىء المتزن لتجعل منه نبأ أمريكيا مثيرا ، وفتى لغلاف مجلة « تايم » ومجلة « نيوزويك » الامريكتين . ليس هذا فحسب ، فلم يكد يمضى عام على مسيرة اللا عنف الزنجية هـذه حتى منحوا مارتن لوثر كنج جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٦٤ .

والسؤال الآن : ما هى قصة ثورة ١٩٦٣ التى دفعت مارتن لوثر كنج الى تأليف كتابه « لماذا نفد صبرنا » الذى نعرض له فى هذه الصفحات؟

ان كتاب « لماذا نفد صبرنا » ليس ، فى الواقع ، تفسيرا لدوافع ثورة ١٩٦٣ بقدر ماهو دفاع عن ايمان مارتن لوثر كنج بمبدأ اللاعنف. ومن ثم فالكتاب ، فى جملته لا يعدو كونه عرضا سريعا لاسباب مسيرة ١٩٦٣ ، ووصفا تفصيليا للدور الذى قام به كنج فى الثورة السلمية : ثم دفاعا حارا ، فى طول الكتاب وعرضه ، عن فلسفة اللا عنف وأخلاقيات الثورة السلمية .

ومنطقيا اذن أن تكون البداية هى الحديث عن أسباب ثورة ١٩٦٣ التى أعلن فيها الزنوج عن نفاد صبرهم ، على ان يدور الحديث بعد ذلك عن مبدأ اللا عنف كأسلوب للنضال الزنجى فى امريكا .

تبدأ ثورة الزنوج السلمية عام ١٩٦٣ ، أى فى عام الذكرى المئوية لتحرير الزنوج . فمنذ مائة عام خلت وقع ابراهام لنكولن اعلان تحرير الزنوج .. عقب الحرب الاهلية الامريكية بين ولايات الشمال والجنوب . عندئذ خرج الزنوج من طور « العبودية القانونية » الى طور « العبودية النفسية » ، التى مازالوا يعانونها حتى اليوم . ولا ادل على ذلك من ان يجاهر ليندون جونسون (عندما كان نائبا للرئيس كنيدى) بقوله عن اعلان لنكولن لتحرير الزنوج :

— « أن التحرير اعلان وليس حقيقة »

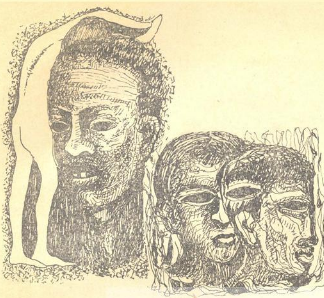
فى هذا الجو المشحون بضياع الزنوج النفسى والاجتماعى تخلقت أسباب ثورة ١٩٦٣ :

أول هذه الاسباب ، كان اليأس العميق الذى أصاب الزنوج نتيجة الابطاء فى الغاء التفرقة العنصرية فى المدارس . فعلى الرغم من أن محكمة القضاء العالى اصدرت عام ١٩٥٤ قرارا يقضى بالقضاء على التفرقة العنصرية « على وجه السرعة » ، الا أن تنفيذ هذا القرار يتم ببطء شديد . ففى بداية عام ١٩٦٣ ، اى بعد تسع سنوات من صدور هذا القرار ، كان عدد تلاميذ الزنوج الملحقين بالمدارس المختلطة لا يتعدى ٩٪ من مجموع التلاميذ . ومعنى هذا ، كما يقول م.ل. كينج ، «اذا سارت الامور على هذا المنوال، فلن يتحقق الادماج بالمدارس قبل عام ٢٠٥٤».

أما السبب الثانى لثورة ١٩٦٣ . فهو يأس الزنوج من سياستى الحزبين الامريكيين وهما: الحزب الجمهورى والحزب الديمقراطى . ففى عام ١٩٦٠ كان الحزب الديمقراطى اثناء حملة انتخابات الرئاسة يعد الزنوج بتحقيق قانون الحقوق المدنية . وكان الحزب الجمهورى يدلى — بدوره — بتصريحات تنطوى على تأييد لحق الزنوج فى اصدار قانون للحقوق المدنية . ثم الزنوج بأن الحكومة لا تقدر مسألة الحقوق المدنية حق قدرها . وأدرك الزنوج ان السياسة الحزبية فى أمريكا لن تحقق لهم أى مكاسب جوهرية .

اما السبب الثالث للثورة الزنجية السلمية فهو ادراك الزنوج للتناقض الفاضح الذى يتردى فيه مفهوم « الحرية » فى أمريكا : « ففى أثناء تقلبات الحرب الباردة لاحظ الزنوج كيف أوشكت بلادهم أن تتردى أكثر من مرة فى حرب نووية ، ولاحظوا كذلك أن حكومة بلادهم كانت تفسر استعداداتها النووية تلك بأنها ستذهب الى أقصى حد دفاعا عن الحرية ... ولو أدى ذلك الى المجازفة بهلاك البشرية . ومع ذلك كان التصرف البطولى للدفاع عن الحرية يتلاشى حل عام ١٩٦١ ، وتلاه عام ١٩٦٢ وفيها شعر تماما ويصبح مأساة هزيلة عندما يتعلق الامر بالاخطار التى بداخل البلاد ، والتى تتعلق بحرية الملونين . ومع ان الزنجى ليس على درجة من الانانية بحيث ينعزل بالتفكير فى مشاكله متجاهلا تطورات الاحداث العالمية ، الا انه كان يشعر بمرارة اذ يرى بلاده وهى تدافع عن الحرية فى بلاد اجنبية وتفشل فى ضمان تلك الحرية لعشرين مليون نسمة من أبناء مواطنيها » .

وما من شك فى أن أمريكا لا تدافع فى الخارج عن « الحرية » فى دلالاتها الانسانية والاجتماعية والاقتصادية ، كما نفهمها نحن أبناء العالم الثالث ، وانما هى تدافع عن حرية من نوع جديد هى : حرية مصالحها . هذه ملاحظة جانبية ليس هنا مجال الحديث عنها باستفاضة . ولكن الاشارة اليها أمر ضرورى لانها تكشف لنا عن ان الرؤية الاجتماعية عند مارتن لوثر كنج قاتمة، ان لم تكن معتمة . وهذا هو السر الذى سيفضى الى سقوطه كزعيم للثورة الزنجية ، كما سنرى ذلك فيما بعد .



تلك كانت الاسباب التى حدت بالزنوج فى أمريكا الى القيام بثورة ربيع عام ١٩٦٣ . وكان المسرح الرئيسى لهذه الثورة السلمية هو : مدينة برمنجهام . تلك المدينة التى قالت عنها مجلة تايم الامريكية : انها قلعة التفرقة العنصرية فى أمريكا . وكان يقف على أسوار هذه القلعة العنصرية حارس عنصرى عرف بفظاظة معاملاته وبطشه الشديد بالزنوج ، وهو : بول كونور . ومن ثم فان برمنجهام ، كما يقول م . ل . كنج، هى اكبر مدينة بوليسية فى أمريكا ، ويوجد على راسها حاكم هد جورج ولاس أقسم عند توليه الحكم هذا القسم العنصرى الغريب :

– « التفرقة العنصرية الآن ، التفرقة العنصرية غدا ، التفرقة العنصرية الى الأبد » .

ولكن .. ما أن تشرق شمس صباح ٣ ابريل ١٩٦٣ على برمنجهام حتى يبدأ موكب الثورة السلمية الزنجية . وكان الزنوج يلتزمون مبدأ اللاعنف أسلوبا لمسيرتهم هذه ، بل ان مارتن لوثر كنج طلب من كل زنجى انضم الى هذه المسيرة التوقيع على « عشر وصايا » توضح لنا منهج كنج فى الثورة السلمية ، وهى :

١ – أتامل يوميا تعاليم السيد المسيح ، ٢ – أتذكر دائما أن حركة عدم العنف فى برمنجهام تهدف الى العدالة والتصالح وليس النصر . ٣ – أن أسير مع الآخرين وأتحدث اليهم بحب فان الله محبة . ٤ – أن ابتهل الى الله يوميا أن يجعل منى أداة لتحرير كافة البشر. ٥ – أن أضحى برغباتى الشخصية ليصبح البشر أحرارا . ٦ – أن اراعى دائما قواعد الأدب التقليدية فى معاملاتى مع الصديق والعدو على السواء . ٧ – أحاول جاهدا أن أقدم خدماتى بصفة منظمة للغير وللعالم اجمع . ٨ – أن اجتنب العنف ، سواء كان هذا عن طريق اليد أو اللسان أو القلب . ٩ – أبذل الجهد لأحافظ على سلامتى روحا وجسدا .. ١٠ – اتبع ارشادات الحركة ورائد المظاهرة .

بهذه التعاليم الأخلاقية التى تحض على الأدب الشديد ، واللاثورية المطلقة ، تبدأ المسيرة الزنجية التى يقودها مارتن لوثر كنج . ورغم هذا فان شرطة برمنجهام العنصريين ، بقيادة بول كونور ، يلقون القبض على الزنوج المسالمين .. حتى تكتظ بهم السجون ، ويعاملونهم معاملة

فظة قاسية أثارت استياء العالم فى ذلك الحين.

وعندما وصلت المسيرة الزنجية الى واشنطن القى القبض على مارتن لوثر كنج . ثم أفرج عنه بكفالة مالية فيما بعد . ورغم هذا لم تستطع السلطة العنصرية الامريكية ، رغم محاولاتها العديدة ، ان تلقى القبض على الثورة الزنجية ذاتها .

بل ان الثورة الزنجية قد تجاوزت ، فيما بعد ، مارتن لوثر كنج زعيم اللاعنف ، الذى حاول جاهدا وضع الثورة فى اطار من التعاليم الاخلاقية والادب الجم . وهذا ما سوف نراه فى الصفحات القادمة .

هنا يبدو أن الوقت قد حان للنظر فى اسلوب ثورة الزنوج عام ١٩٦٣ .. أى اسلوب اللاعنف. فلقد آثر مارتن لوثر كنج ، زعيم ثورة اللاعنف الزنجية هذه أن يجعل من كتابه : « لماذا نفد صبرنا » دفاعا حارا عن اسلوب اللاعنف ، كأسلوب للنضال الزنجى من أجل الحصول على الحقوق المدنية . بيد أن مارتن لوثر كنج ، فى فورة حماسه الشديدة فى الدفاع عن اللاعنف ، لم يستند الى لغة موضوعية يدافع بها عن منهجه فى الثورة ، وانما جنح الى استخدام لغة عاطفية تفيض شعرا وعذوبة . وانها للغة ممتعة حقا !

.. ولكنها لا يمكن ، ابدا ، أن « تقنع » انسانا يتلوى تحت سياط التفرقة العنصرية المادية والمعنوية .

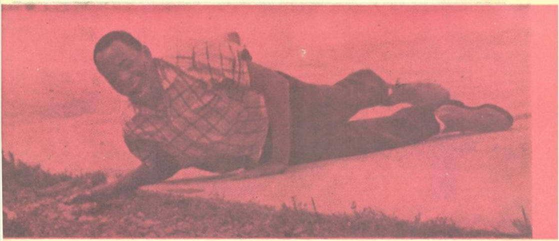
لا أعتقد أن انسانا مكبلا باصفاد القهر العنصرى يمكن أن يؤمن بكلام عن اللاعنف يقول فيه مارتن لوثر كنج :

ـ « ان اللاعنف سلاح عادل وقوى ، سلاح فريد فى التاريخ ، انه يجرح دون ان يدمى ، يضفى على من يحمله مسحة من النبل ، انه الحل العملى والأدبى على صرخة الزنوج فى طلب الحرية ، اذا أثبت أنه يساعد على كسب المعارك دون أن يخسر الحرب ، وأصبح لهذا السبب الاسلوب المنتصر لثورة الزنوج عام ١٩٦٣ » .

ومع ذلك فاذا ماتبادر الى الذهن سؤال بديهى وهام وهو :

ـ كيف يحقق اللاعنف كاسلوب للنضال الزنجى أمل الزنوج فى المساواة والعدالة الاجتماعية ؟ ..

عندئذ لن تجد فى كلام مارتن لوثر كنج اجابة محددة على هذا السؤال المصيرى الهام . وبعد أن يضنيك البحث فى كتابه فلن تجد الا كلمات هائمة تسبح فى ضباب من الرؤى المبهمة الغامضة كمثل كلماته السالفة : « ان اللاعنف سلاح عادل



وقوى ، يجرح دون أن يدمى .. » أو قوله : « أن اللاعنف يمكن أن يصبح الشعار الذهبى للبطولة ، بدلا من أن يكون الرمز المزرى للاستسلام » . وغير هذه الكلمات الغنائية عن اللاعنف لن تجد شيئا عند لوثر كنج . وهنا يمكن القول : ان الثورة ، أى ثورة ، عندما تفتقد تحديدا موضوعيا للاسلوب نضالها ، لايمكن التكهن بنجاحها ، مهما كانت روعة أهدافها .

ومن ثم ، فان الزنوج الذين نفد صبرهم حقا لم تؤمن جموعهم بكلام مارتن لوثر كنج الغنائى الشاعرى عن أسلوب اللاعنف هذا . فلم يكد يمر عامان على مسيرة اللاعنف الزنجية هذه حتى تفجرت فى حى واتس بلوس انجلوس ثورة زنجية « عنيفة » صاخبة فى أغسطس عام ١٩٦٥ . عندئذ « تجاوز » « عنف » هذه الثورة « لا عنف » مارتن لوثر كنج فوقف مدهوشا .. واخذ يستعدى البوليس الامريكى ليقمع هذه الثورة (١) ثم أعرب عن أسفه الشديد لحوادث العنف هذه . ورغم أن مارتن لوثر كنج استدرك استعداءه هذا بقوله : .. ولكنى بالمقابل آسف لاستمرار الظروف السائدة فى أحياء الزنوج حيث يعيش الملايين .. انهم يائسون قانطون لا يشعرون بأن لهم نصيبا فى هذا المجتمع .. رغم استدراكه هذا ، الا أن كافة الدلائل كانت تتضافر لتعلن نبأ زنجيا هاما هو: سقوط القيادات الزنجية القديمة . وعندئذ بدا يظهر فى أفق الحركة الزنجية الامريكية قيادات زنجية ثائرة يمثلها فريق من شباب الزنوج الذين يطالبون بمبدأ « السلطة للسود » . ويوجد على راس هؤلاء : ستوكلى كارمايكل وجون لويس ..

هاهى الجماهير الزنجية الغاضبة قد تجاوزت زعيمها وتركته يلهث وراءها مرددا كلمات رقيقة عن اللاعنف . بيد أن الجماهير التى أضناها القهر العنصرى طوال ثلاثمائة وخمسين عاما لم تعر كلمات م . لوثر كنج أذانا صاغية . ولا احسب ان هنا كلمات أبلغ من كلمات مجلة تايم الامريكية (١٩٦٥/٨/٢٧) تعليقا على «مكانة» لوثر كنج بعد ثورة لوس انجلوس : تقول مجلة تايم :

« كان محافظ كاليفورنيا يعتقد ان من الحصافة عدم تشجيع الدكتور كنج على زيارة الولاية بعد ما حدث فى حى واتس بلوس أنجلوس وعلى أى حال فقد ذهب كنج الى هناك . وأعلن ، عن غير قصد ، انه على الرغم مما قد يلقاه من احترام ومكانة لدى زنوج الجنوب والطبقة الوسطى من الزنوج فى الشمال ، الا انه ليست له مكانة كبيرة لدى سكان الاحياء الفقيرة والحقيرة فهم يتساءلون عمن يكون مارتن لوثر كنج » !

هذا كلام خطير حقا .. لأن ترجمته الحقيقة هى ان قيادة مارتن لوثر كنج قد سقطت ، أو هى لم يكن لها وجود على الاطلاق فى نظر جماهير الثورة الزنجية الحقيقية . وهنا تحضرنى تلك الدراسة الجادة الضافية التى كتبها الدكتور عبد الملك عودة عن « ثورة الزنوج فى امريكا » عندما قال فى هذا المعنى مفسرا ثورة ١٩٦٥ « ان الجماهير الزنجية خرجت من الحوارى السوداء هائمة على وجوهها تحرق وتحطم وتقاتل البوليس وتشعل النيران بدون خطة مرسومة وبدون قيادة متطرفة (!!) وبدون تنظيم سرى متآمر (!!) واندفعت فى الشوارع تثير الفزع وتعلن سخطها واحتجاجها وتفرج بهذا عن عقدها النفسية وآلام الكبت الطويل المرير».

وهكذا ، فى الوقت الذى كانت تحتضن فيه جماهير الطبقة البرجوازية الزنجية فى الشمال مارتن لوثر كنج ، كان سكان الاحياء الفقيرة والحقيرة لا يعرفون من يكون مارتن لوثر كنج هذا . ويحدد هذا « الاحتضان » ، وذاك « الرفض » نوعية قيادة مارتن لوثر كنج واسباب سقوطه — فى نظر جماهير الثورة الزنجية — فى آن واحد . وتفسير ذلك : ان مارتن لوثر كنج لم تكن حركته — على نحو ما كشفت الاحداث — الا تعبيرا عن البرجوازية الزنجية . ولقد كانت البرجوازية السوداء فى أمريكا ، وما تزال، تريد تطبيق قانون الحقوق المدنية « بلا عنف » وتحلم بالاندماج فى المجتمع الامريكى الابيض « بلا ثورة » .. لانها تخشى أن تفقد — فى الثورة — ما تنعم به من امتيازات .

ويعمق الدكتور عبد الملك عوده ، فى دراسته سالفة الذكر ، هذا المعنى حين يقول ان القيادات الزنجية قد سقطت بالفشل « لانها عبرت عن الطبقات المتوسطة والعليا السوداء وما ارتبط



بهم من فئات المثقفين والموظفين وذوى الدخل المرتفع نسبيا . وانها فى حياتها وبحثها عن السند السياسى ارتمت فى أحضان البرجوازية البيضاء ومن ثم فقد أصبحت فكريا جزءا لا يتجزء منها » .

وعندما سقطت القيادات الزنجية القديمة تحدد مسار جديد للثورة الزنجية : فقد اصبح « العنف » وصولا الى تحقيق مبدا « السلطة للسود » هو الاسلوب الذى تؤمن به القيادات الزنجية الجديدة فى نضالها من اجل تحقيق «العصر الرائع » الذى يتغنى له الزنوج منذ امد بعيد .. بعيد ..

تبقى كلمة تحية للمترجمة التى نقلت ، فى أمانة ودقة ، اسلوب مارتن لوثر كنج الشاعرى. بيد أن هناك كلمات قلائل هامة ترجمت ترجمة غير دقيقة ، وسأذكر هنا بعض الكلمات ذات الدلالة الخاصة :

ـ كلمة Automation : ترجمت بكلمتين مختلفتين ، ففى (ص ٢٤) ترجمت بـ الآلات الميكانيكية ، وفى (ص ١٤٩) ترجمت بـ«التصنيع» وصحة ترجمة كلمة Automation هى : «التشغيل الآلى » أو التشغيل الذاتى . وكان من الضرورى أن تترجم هذه الكلمة بدقة نظرا لدلالاتها العلمية ، ولما لها من انعكاسات اجتماعية فى أمريكا . فهى تعنى باختصار : الثورة الصناعية الثانية التى يستغنى فيها عن العمال الى حد كبير جدا . وتتضح خطورة تطبيق التشغيل الآلى فى امريكا اذا علمنا ان المجتمع الامريكى تحكمه قاعدة عنصرية تقول : « ان الزنجى آخر من يعمل واول من يطرد من العمل » وهنا يمكن التكهن بانعكاسات ثورة « التشغيل الآلى على زنوج امريكا . وواضح بعد هذا ان كلمتى : الآلات الميكانيكية أو التصنيع لا يمكن أن تفيا بمعنى : التشغيل الآلى .

ـ عبارة Caste of color : ترجمت بـ « الطبقة واللون » (ص ٢٣) والاصح أن تترجم بـ « طائفية اللون » . وواضح أن المؤلف استعار هنا كلمة Caste أى : طائفة من لغة المجتمع الهندى الذى تستند التفرقة الاجتماعية فيه على الطائفة وليس على اللون ، كما هو الحال فى أمريكا . وقد شبه مارتن لوثر كنج ، فى كتابه ، وضع طائفة المنبوذين فى الهند بوضع الزنوج فى امريكا . ومن هنا كانت عبارة : طائفية اللون »

ـ كلمة Chetto : ترجمت بـ « مناطق الخطر (ص ١٣١) ، والانسب أن تترجم بـ مناطق العزل » أو « أحياء العزل » .

ـ كلمة Nonviolence : ترجمت هذه الكلمة ، والتى تتردد فى معظم صفحات الكتاب ، بثلاث كلمات مختلفة هى : عدم الاعتداء ، وعدم العنف ، والنضال السلمى (ص ٢٦) . وكان من الانسب تحديد ترجمة واحدة لها هى على وجه التحديد : « اللاعنف » أو « عدم العنف » . تلك « كلمات » لا يمكن ، أطلاقا ، أن تنال من اسلوب الترجمة العربية الرقيق الذى يتسم بالدقة والامانة .

محمد عيسى

أضواء على الموسيقى العربية

تأليف أحمد شفيق أبو عوف

عرض ونقد
عبد الفتاح البارودى

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
مطبوعات
اللجنة الموسيقية العليا
بدار الأوبرا ٢٥٦ ص
الثمن ٧٠ قرشا

لماذا لم يستخدم العرب الموسيقى فى عباداتهم كما فعل الغرب ؟! سؤال هام جدا أثاره هذا الكتاب المفيد ، ولكن لم نعرف اجابته ... مسائل أخرى كثيرة ودقيقة وتتناول قضايا فنية هامة أثارها هـذا الكاتب أيضـا ولم نعرف اجابتها أيضا ... لماذا ؟! الأسباب كثيرة .

ويخيل الى أن من أبرز هذه الأسباب أن المؤلف أحمد شفيق أبو عوف اختار أن يقدم دراسة عامة ، ولهذا استطرد الى هذه المسائل والقضايا ، وهذا الاستطراد ساعده فى توسيع مجال دراساته ، غير أنه فى نفس الوقت حال بينه وبين التركيز والتعميـــق فى بعض ما تناوله ، كما فتح أمامه نوافذ للاسهاب والاسراف أحيانا .

حتى فى المقدمة نراه يذكر أسماء عشرات من الفنانين فى مختلف الفنون دون أن يكون لذكرهم ضرورة ملزمة ، بمعنى أنه لم يستشهد بانتاجهم فى صلب الكتاب مثلا ، ولم يستنبط منهم استدلالات معينة ... ثم انه فى هذه المقدمة المستطيلة جدا أسرف فى عرض أفكار ومعلومات تعتبر من البديهيات فى فقرات كثيرة ، فضلا عن أنها غير مرتبطة ارتباطا وثيقا بالموسيقى ، وهى الموضوع الأصلى للكتاب .

لعله أراد أن يتحدث عن « العقل البشرى » الذى أبدع العلوم والفنون ، وأثر الانسان فى الحياة ، ففكر فى المقارنة بين الانسان والحيوان ، ولهذا تحدث عن شـــعور الكائن البشرى منذ القدم ـ الى جانب الصراع المادى ـ بالاحتياجات « الروحية » ، ومن هذه النقطة انطلق الى المقـــارنة بينهما ـ بين الكائن البشرى والكائن الحيـوانى منذ فجر التاريخ ، وأشار الى الوظائف العضوية التى يشتركان فيها ، والوظائف المتشابهة ، ثم مميزات الكائن البشرى ، وكيف أنه رغم بدء حياته أقرب الى الحيوان فى معيشته وتصرفاته العادية الا أن عقله كان يفكر دائما فى تهيئة وسائل أفضل للحياة ، وهكذا بدأ تاريخه الحضارى .

بهذا الشكل فتح المؤلف مجالات فى غاية التشعب دون أن يشير الى الموسيقى ، ولهذا فانه فى ختام هذه المقدمة المستفيضة حاول الاشارة اليها ، وتحدث فى سطور قليلة عن الغناء الفطرى والنشاط الموسيقى الذى سجلته العصور القديمة على جدران الهيـاكل والمعابد ... الخ وحتى فى هذه النقطة اتجه الى السرد السريع ، دون أن يربط الانتـاج بنوع التفكير بشكل منهجى .

على أنه بعد ذلك ألقى الكتاب الى القارىء ليبحث من خلال مشكلة « الموســـيقى العربية » ... وهذا هو المهم فعلا ، ولكن كيف عرض هذه المشكلة !

أولا هو منذ البداية يعلن أنه لم يتحدث عنها حديثا أكاديميا ، وانما طلب لمن يبحثها أن يعيش فيها ... كيف ؟! انه كمؤلف عاش تجارب متعددة ، وشارك فى مختلف الأجهزة الموسيقية ، ثم وضع فى هذا الكتاب خلاصة تجارب ودراسات استمرت عشرين عاما ... فماذا قدمه لنا من تجارب ؟!

كنت أفضل أن يدخل فى جوهر الموضوع بعد ذلك مباشرة ، ولكنه عاد الى الاسهاب فيما سماه « لمحة تاريخية » ، ثم انتهى الى نتائج محددة ، خلاصتها أن الموسيقى العربية قبل ظهور الاسلام لم تكد تعرف الموسيقى الدينية ، وأنه وجدت موسيقى دينوية تعتمد أساسا على الغناء ، وأن الموسيقى الشعبية ظهرت ، وكانت تنتقل من جيل الى جيل مما ساعد على الاحتفاظ بالطابع العربى ·

نتائج هامة جدا ، ولكن مقدماتها لم تكن واضحة تماما ··· ان المؤلف فى لمحته التاريخية لم يتكىء على نقط تصلح كمقدمات تؤدى الى هذه النتائج ، بل انه لم يعرف لنا معنى الموسيقى الشعبية بأى تعريف ، بل لم ندرك تماما ماذا يقصد بالموسيقى الدينية والدنيوية ·

كنت أفضل تحديد هذه المسائل ليساعدنا التحديد فى متابعة الكتاب عندما بدأ يدخل بعد ذلك فى المشكلات الحقيقية التى ظلت ولا تزال تحيط بتفكيرنا الفنى ·

فمثلا تحدث بعد ذلك مباشرة عن دخول الموسيقى العربية مرحلة جديدة بعد ظهور الاسلام ، واختلاف الموسيقيين والمفكرين والمؤرخين حول نظرة الاسلام الى الموسيقى ، فماذا فعله ليناقش مختلف الافكار ؟

قال ان بعضهم دلل على أن الاسلام حرمها ، وبعضهم أثبت أن الاسلام لم يحرمها بل شرعها وحلل ممارستها ، ولكن ما هى حجة هؤلاء أو هؤلاء ؟! لم يذكر شيئا فى هذا المقام ، بل قال (ولا يسمح المقام هنا بذكر الأسانيد والحجج التى اعتمد عليها كل فريق لاثبات الرأى الذى ذهب اليه) ·· لو أنه ذكر بعض هذه الحجج لكان بحثه أغنى وأعمق·· ولو أنه حاول مناقشتها لازداد هذا الغنى وهذا العمق ·

مسألة اخرى : فى الكتاب جملة ذكرت بشكل عابر وسريع وفجائى ، وهى (لاتوجد فى الدين الاسلامى طقوس دينية تعتمد على الغناء) ·· هكذا قال المؤلف (ص ٣٦) ولكنه فى هامش نفس الصفحة قال (بعض الأدعية كدعاء صلاة العيد تعتبر من الطقوس الدينية التى تعتمد على نوع من الغناء ، وكذلك الذكر والأذان ·

كيف نفسر هذا التناقض ؟! لم يحاول المؤلف تفسيره ، وكان من الواجب أن يحاول ذلك ، لأن دعاء صلاة العيد مثلا يعتبر نوعا متقدما ومتطورا من الغناء الدينى ، ويكفى أن نعرف أن هذا الدعاء يمتاز بأنه يؤدى أداء جماعيا ، ثم ان أسلوب أدائه فيه لون من ألوان الحوار ، وهذه مرحلة متقدمة جدا فى الغناء ، بل ان هذا اللون يعتبر من المـــواد الخصبة التى تصلح للاستحياء فى أعمال موسيقية مركبة ·

ان من الملاحظات البارزة أن المؤلف لا يتوقف كثيرا لمناقشة النقط التى يذكرها ، ولكنه رغم استيفائه لنقط كثيرة هامة يتجه الى سردها ، وأحيانا يهتم بسردها بالترتيب التاريخى ، ولكنه لا يكاد يناقشها رغم أهمية المناقشة أيضا ·



لهذا نراه يتجاوز مناقشة آراء المختلفين حول نظرة الاسلام الى الموسيقى ، ويتجاوز التوقف عند موضوع الطقوس الدينية ، ويعاود السرد التاريخي للغناء في العصر الأموي ، وأثر القصور في تكييف الغناء ، وكيف نتج عن ذلك ظهور الأغنية الفردية التي تؤدى بمصاحبة العود ، وظهور لقب جديد هو لقب منشد البلاط أو منشد القصر ... الخ .

في خلال ذلك يذكر جملة هامة ، ولكنه لا يناقشها ... هذه الجملة نقلها عن (كروسلي هولاند) حين يقول (ان همية الأغنية العربية فاقت أهمية الموسيقى الآلية لفترة طويلة دامت حتى القرن العاشر الميلادي) .

لماذا كان تفوق الأغنية أوضح من تفوق الموسيقى الآلية ؟! هذه مسألة هامة جدا ، ولكن المؤلف مر عليها بسرعة واهتم بأن يذكر لنا ما فعله (ابن مسجح) لوضع قواعد للعزف والأداء والتلحين ، ولتخليص موسيقانا من الطابع الاجنبي ولتجديد التلحين ...الخ

جملة أخرى هامة سردها ولم يناقشها ، حين قال ان من الايقاعات التي استخدمت بكثرة في الموسيقى العربية في العهد الاموي ايقاع (خفيف الرمل) و (خفيف الثقيل) كما ظهرت أهمية اللحن والايقاع والزخارف والحليات ، وظلت هذه الخواص حتى الآن أهم ما يميز الموسيقى الشرقية .

هذه النقطة تواجهنا بمشكلة هامة جدا ، وهي مشكلة وقوف الموسيقى في مفترق الطرق بين الموسيقى الدينية التي تعبر عن الاحساسات العميقة ، والموسيقى الدنيوية التي تعبر عن البيئة المحلية ، وكيف انساقت بعد ذلك الى طريق الزخارف والحليات ... والمهم هو : لماذا انساقت على هذا النحو ؟! ولماذا بقيت هذه الزخارف والحليات الى الآن ؟!

لو بحثنا مثل هذه النقط لأمكن أن نصل الى مواطن الضعف في موسيقانا ، وكيف ولماذا اتجهت الى التطريب ، وابتعدت عن التعبير ، وانحصرت في أوزان وايقاعات معينة دون أن تتطور في « تراكيب » فنية ، رغم أن الموسيقيين العرب بدأوا يأخذون وضعا محترما في تلك الفترة من العصر الأموي ، وبدأوا يكتبون عن الموسيقى مؤلفات مثل مؤلفات يونس الكاتب الذي ألف (كتاب النغم) و (كتاب القيان) ، مما مهد الى انتعاش الحركة الفكرية في الموسيقى في العصر التالي خلال العصر العباسي .

في العصر العباسي انتقلت العاصمة من دمشق الى بغداد ، وبالتالي انتقل مركز النشاط الفني الى بغداد أيضا ، ودخلت الموسيقى عصرها الذهبي – في عصر الرشيد – باجماع معظم الباحثين في الموسيقى العربية .

ان مؤلفنا يساير هؤلاء الباحثين في هذا الوصف أيضا ، ولكنه – مثلهم – لا يحدد لنا معنى العصر الذهبي للموسيقى ، غير أنه يحاول أن يصف معالم ذلك التفوق الفني بالنسبة للموسيقى ، فيقول انها تأثرت في تلك الفترة بالمدرسة الفارسية «الرومانتيكية» التي تزعمها المغني الفارسي الامير ابراهيم .



وهنا أيضا الاحظ أنه لم يحدد ماذا يقصده بالرومانتيكية ، فان كثيرين من الاكاديميين يرون أنه من الصعب بل من التعسف استخدام مثل هذه الأوصاف في غير معانيها المحددة بدقة ...والواقع أنه من الناحية العلمية لا يجوز اطلاق صفة الرومانتيكية على أى نشاط فنى الا بعد أن تبلورت الرومانتيكية في مذهب فنى في القرن التاسع عشر .

ومع ذلك فاننا ربما نستطيع التجاوز عن هذا التزمت في استخدام المصطلحات الفنية ، ونجيز استخدام هذه الصفة في وصف الفن الذى يغرق في الخيال أو العاطفة ولكن بعد ذلك تبقى أمامنا مشكلة أهم ، وهي لماذا ظهرت هذه الرومانتيكية في الموسيقى العربية في تلك الفترة ؟!

ان المؤلف لم يناقش ذلك ، وانما استطرد الى ذكر أسماء الفنانين الموسيقيين في العصر العباسى ، كما استطرد الى ذكر المفكرين ومنهم « الكندى » الذى اعتبر كتاباته في الموسيقى أول بحوث جادة في هذا الفن في تاريخنا العربى .

هذه نقطة تصل بنا الى مشكلة أخرى : كيف تنساق الموسيقى الى الرومانتيكية ، بينما — في نفس الفترة — تظهر بحوث موسيقية جادة ؟! ان الكندى لم يكن المفكر الوحيد الذى كتب في الموسيقى ، بل أيضا كتب الفارابى بحوثا موسيقية ، وكذلك ابن سينا .

هنا أيضا نلاحظ أن مؤلفنا لم يذكر لنا آراء هؤلاء الأعلام وانما أشاد بها ، وقال ان ابن سينا مثلا بحث موضوعا هاما يفيدنا في بحوثنا الحالية عن (مدى تقبل الألحان العربية للهارمونية الغربية) .

كنت أفضل أن يذكر لنا تفاصيل ذلك الموضوع الهام ، أو تفاصيل كتاب ابن المنجم (رسالة في الموسيقى) الذى بحث فيه السلم الموسيقى العربى ، الذى وصفه مؤلفنا بأنه (الكلاسيكى) الذى كان مستخدما حتى القرن الخامس عشر ، وبأنه يشبه السلم الفيثاغورثى الاغريقى .

لا جدال في أن مؤلفنا أرهق نفسه بالرجوع الى مراجع كثيرة جدا ليتحدث عن هذه المسائل ، ولكن كنت أفضل أن يتحفنا بشىء من التفاصيل لنأخذ فكرة أوضح ، وخاصة أننا الآن لسنا نجد معلومات محددة أو واضحة عن السلم الموسيقى سواء السلم العربى الكلاسيكى ، أو الاغريقى .

ندخل بعد ذلك في مشكلة أدق ... ان مؤلفنا يذكر أن اشعاعات النهضة الموسيقية ظلت تنبعث ، وكان « الغناء » هو مظهر النشاط « الوحيد » في موسيقانا ... المدهش هنا هو : كيف حدثت مقارنات بشكل ما بين السلم العربى والسلم الاغريقى ، أو كيف تناولهما المؤلفون والفلاسفة ، ثم — في نفس الوقت — يكون الغناء هو المظهر الوحيد للنشاط الموسيقى ... كان المفروض في الفترة التى لوحظ فيها التأثر بالتفكير الاغريقى أن يظهر هذا التأثر أو بعض التأثر في الموسيقى ، وبالتالى أن تظهر محاولات للانتقال بالغناء الى المجال المسرحى مثلا ... لماذا لم يحدث ذلك ؟!

هذا السؤال يسوقنا الى مشكلة كبيرة جدا في الفن جديرة بالمناقشة المستفيضة ، ولكن مؤلفنا قفز منها الى مشكلة أخرى ، وتحدث عن تأثر الموسيقى العربية بالالوان الفارسية والمغولية والتركية ، ونتيجة لذلك ظهرت قوالب جديدة ، كما بدأت تظهر آلات جديدة .

ان مؤلفنا يستنتج هنا استنتاجات ذكية ، ومنها أن الارتجال الذى ساد الموسيقى العربية بعد ذلك أدى الى ظهور العزف المرتجل ، وهذا أدى الى ظهور ما يعرف للآن « بالتقاسيم » ... هذا استنتاج مهم ، وكنت أرجو أن يناقشه المؤلف بافاضة .

استنتاج آخر وصل اليه ولخصه بقوله ان العرب اقتبسوا كثيرا من النظريات الموسيقية اليونانية ، وهذا الاقتباس أدى الى تغيير طريقة عزفهم على العود ، لأنه أحدث تغييرا جذريا في الأداء ... هنا كان ينبغى أن يشير — مجرد اشارة — الى الفرق بين الطريقتين ، أو الى مدى ما أحدثه هذا الاقتباس من تغيير .

أيضا عندما قال ان العرب بعد ذلك أضافوا قواعد جديدة وأساليب جديدة فى العزف والتلحين والأداء ، وتفوقوا على الاغريق ، وأن الاغريق اعترفوا بذلك ... الخ ... كان ينبغى أن يشير الى هذه الاضافات ، وأيضا الى المصادر التى وردت فيها اعترافات الاغريق ... لماذا ؟! لأن المفهوم علميا وتاريخيا أن الاغريق فى تلك الفترة بالذات – أى فى فترة العصر العباسى – لم تكن لفنونهم المكانة التى كانت لها فى القرن الخامس قبل الميلاد مثلا ... ولم يكن لهم فلاسفة فى الفن بارزون على النحو الذى برز فيه أسلافهم... ومن أجل ذلك يلزم تحديد المصادر كلما أردنا الاستشهاد بآرائهم أو أفكارهم خلال تلك الفترة .

أما بالنسبة للمؤلفات العربية ، فان المؤلف أشار اليها اشارات مؤكدة ، لأنه حددها وذكر أسماءها ، وهنا أيضا كنت أرجو أن يستكمل هذه الاشارات بشىء من الشرح ولو باختصار .

فهو مثلا يقول ان هناك مخطوطا للكندى يشتمل على طريقة « خاصة » للتدوين الموسيقى .. هذه نقطة هامة ... ثم نقطة ثانية هامة قال فيها ان الكندى ابتكر هذه الطريقة قبل أن يستطيع (جويدو دارتيزو) أن يبتكر طريقته فى التدوين الموسيقى ... وفعلا من الارقام التاريخية التى ذكرها المؤلف نعرف بسهولة أن الكندى أسبق من داريتزو، لأن الكندى مات فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، بينما التدوين الموسيقى الغربى ظهر فى أوائل القرن الحادى عشر ، ولكن هل هناك علاقة بين تدوين الكندى وتدوين داريتزو ؟!

هذه مسألة فى غاية الأهمية ، وأيضا فى غاية الدقة ، وللمؤلف فضل اثارتها ، ولكن ينبغى أن توضع موضع بحوث خاصة بها ، وكان من الممكن أن يحاول المؤلف تناولها بشىء من الافاضة .



ولكن يبدو أن اهتمامه بالالمام بمختلف الموضوعات الموسيقية اضطره الى القفز بينها دون التوقف للتأمل أو المناقشة بالمعنى الحقيقى .

لهذا نراه فى هذه اللمحة التاريخية يقفز من هذه الموضوعات الهامة التى تحدث فيها عن مدى التأثر المتبادل بين الموسيقى فى الشرق والغرب ، الى الحديث عن موسيقى الاندلس أو الموسيقى العربية فى الاندلس ليستوفى بحثه من الناحية التاريخية ، ولو بصورة سريعة موجزة .

ولكنه فى الحقيقة – رغم السرعة والانجاز – لا ينسى أن يشير الى أهم الملامح والأعمال والأحداث الموسيقية طوال البحث ... فهو هنا فى الحديث عن الموسيقى الاندلسية يذكر أبرز ما استحدث فيها ، مثل (من الموشح) ، ولكنه يعلل ظهوره بالعلل الشائعة بين عامة الباحثين دون استقصاء لغيرها ... وبنفس الطريقة يتحدث عن أثر الموسيقى الاندلسية فى أوروبا ، وان كان فى هذه النقطة بالذات قد استشهد بشىء من المراجع الغربية التى أكدت فضل الموسيقى العربية على التفكير الموسيقى فى أوروبا .

بعد ذلك نراه – من باب الالمام أيضا – يستكمل بحثه بالحديث عن الموسيقى التركية كمرحلة تالية لمرحلة انتهاء العهد العربى فى الاندلس ... وكعادته يبدأ حديثه منذ أن استولى الاتراك العثمانيون على القسطنطينية ويمر بسرعة الى أن يصل الى ظهور (الغناء المولوى) ويستشهد بأعمال من أعلام هذا الفن ، ويربط حديثه بالحديث عن موسيقى الانكشاريين وخلال ذلك يستطرد الى تأثر الاوروبيين بالموسيقى الشرقية .

أيضا هنا نراه يذكر نقطتين بسرعة ، وكان ينبغى أن يتوقف عندهما .

النقطة الأولى ذكر فيها أن الموسيقى العربية عادت منذ القرن الرابع عشر الى استخدام السلم الفيثاغورى ثم استطرد الى القول بأن اختيار ربع النغمة بعد ذلك فى الموسيقى العربية أحدث هوة سحيقة بين السلم الفيثاغورى التقليدى والسلم الحديث ... هذه كلها مفاتيح لمشكلات فنية يجب أن تواصل بحثها ...

والنقطة الثانية ذكر فيها أن فى القرن الثامن عشر لم يكن هناك من مظاهر الموسيقى العربية فى أى قطر ما يستحق الذكر ... هذه أيضا مشكلة يجب بحثها ولا يكفى مجرد اثارتها .

بعد ذلك اقترب من تاريخنا الحديث ، وأجمل الكلام فيه عن بعض الأعلام وبعض الأعمال ، ثم تحدث عن بعض الهيئات الموسيقية التى تكونت أو تبلورت ، ثم أشار الى بعض المشروعات الموسيقية فى تاريخنا المعاصر .



كان طبيعيا بعد ذلك أن يدخل فى مشكلاتنا الموسيقية والمفروض أن هذا هو أهم جزء فى الكتاب ، والواقع أنه تناول هذه المشكلات بوعى وادراك وتجربة صادرة عن احتكاك عملى بها ، غير أنه فى هذا أيضا لوحظ عليه الانتقال من موضوع الى موضوع دون اشباع أو دون استكمال المناقشة ٠٠ وأحيانا كان يتحدث بسرعة أو يدلى بآراء عابرة ٠٠ الخ٠

فمثلا تناول قضية « الربع تون » فقال ان « ربع النغمة » ليس بالامر الجديد ، بل له نشاط قديم علاوة على أن طبيعة الأذن العربية تميل ميلا خاصا وراسخا الى الأنغام التى تشتمل على ربع النغمة ٠٠ وهكذا ٠٠ كلام عام وعائم وعابر ولا يعتبر تناولا أكاديميا أو تكنيكيا للمشكلة ٠

ثم انه يســـتطرد فيقول ان الموســـيقى العربية تملك من الثراء اللحنى والايقاعى ما لا يتوفر فى الموسيقى الغربية !! طبعا هذا « حكم » يحتاج الى براهين ، فما هى براهينه؟ قال ان الفضل فى ذلك راجع الى وجود ربع المقام من جهة ، وتعدد الايقاعات فى الموسيقى والغناء العربى من جهة أخرى !

الحقيقة أنه بعد ذلك أشبع هذه النقطة وأورد آراء مختلفة فى هذه المشكلة بالذات ، واستشهد بأعمال متعددة ومؤلفات كثيرة لعلماء من الغرب ، غير أنه لم يربط ذلك بتفكيرنا الموسيقى ، أى أنه لم يذكر لنا مثلا هل كان تمسك الموسيقيين عندنا بربع النغمة صادرا عن ادراك وعلم أم هو تمسك تقليدى ٠٠٠ ان المؤلف ذكر هنا ظاهرة هامة ، وهى أن معظم المدافعين عن بقاء ربع النغمة كانوا من علماء الغرب ، وهذه هى المشكلة التى كنت أريد أن يتناولها ليكشف لنا لماذا لم نتناول الموسيقى تناولا فكريا ، بل اننا للآن لا نكاد نفكر فى قضايانا الموسيقية تفكيرا علميا ، على الرغم من أن المؤلف أورد لنا مراجع قديمة تدل على أن فى تاريخنا الفنى ما يؤكد وجود باحثين من أساتذتنا القدماء تناولوا الموسيقى فكريا وفلسفيا واستفاد علماء الغرب منهم أكثر مما استفدنا ٠

هذه نقطة مهمة كنت أرجو أن يوفيها بعض حقها من البحث ، ليس من الوجهة التاريخية ، بل لأنها تدلنا على مدى قصورنا عن البحث الحقيقى فى مشكلاتنا الموسيقية ٠

ثم ان المؤلف بعد ذلك قدم لنا معلومات قيمة عن آراء علماء من الغرب فى موسيقانا

من حيث طبيعتها وخصائصها ، ثم قدم معلومات قيمة عن الموسيقى الشرقية فى الصين والهند والشرق الأقصى .. الخ .. هى بلا جدال معلومات لها أهميتها ، ولكنه أفاض فيها أكثر مما أفاض فى الحديث عن أى موضوع آخر فى هذا الباب (الموسيقى الشرقية) أو بعبارة أخرى تحدث عنها وكأنها مسألة أخرى فى كتاب آخر وليس هذا الكتاب المفروض أنه عاكف على بحث قضايانا الموسيقية الراهنة .

على أنه عاد بعد ذلك الى قضايانا فتحدث عن التعليم الموسيقى عندنا ، وهذه مسألة مهمة ، غير أنه اعتمد فيها غالبا على اللوائح المكتبية وتقارير الخبراء ... ولا بأس بذلك لولا أنه كاد يكتفى بتلخيصها دون أن يعطى مقترحات عملية لتصحيح أو تكييف مناهج التعليم الموسيقى .

غير أنه أشار الى نقص أو ضعف المستوى العلمى للموسيقيين الذين يمارسون الموسيقى فى المجالات العملية مثل الاذاعة والتليفزيون ، وأحيانا نراه يتحدث بصراحة ، فيقول مثلا ان الاغنية العربية تدور فى حلقة مفرغة منذ أكثر من ٢٥ عاما ، فهى تصاغ من مقامات موسيقية متقاربة وايقاعات عربية متواترة ومجال التعبير فيها ضيق ومحدود ان لم يكن متعدما فى أغلب الأحيان .

وبنفس الصراحة يقول ان الملحن يتعامل حاليا مع هيئة الاذاعة بصرف النظر عن أى حصيلة ثقافية أو علمية يتزود بها .

غير أنه لا يعطينا اجابات مقنعة عن ماذا نفعله ازاء هذا النقص ... انه يسرد ويروى فقط ، وطبعا لا يمكن حل المشكلات الثقافية بهذا الشكل .

ان المؤلف حاول أن يتناول المشكلات وحلولها عن طريق ذكر ما حدث فى مؤتمر الموسيقى العربية الذى عقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ، وقدم فعلا بعض مناقشاته وقراراته ، وقال ان ملحنينا لم يستجيبوا لها بسبب ضعف مستواهم الفنى ... ثم ماذا ؟! لا شىء .. لم يقدم أى مقترحات لمعالجة هذه المشكلة .

وصحيح انه حمل الاذاعة مسئوليتها ازاء ذلك ، ولكنه عند اقتراح الحلول لم يكد يقترح أكثر من تزويد الاذاعة بلجان فنية من الاخصائيين وتكون هذه اللجان مستقلة الرأى .. الخ .. اقتراح وجيه ، ومفيد ، ولكن لا يزال ينقصنا التخطيط المنهجى لرفع المستوى الفنى للتفكير الموسيقى والانتاج الموسيقى والنشاط الموسيقى ومسئوليات الاذاعة نحو ذلك .

وكذلك فى التليفزيون لابد من وضع التخطيط المنهجى بالنسبة للأغانى والموسيقى. وأيضا هناك مسئوليات أخرى يجب أن يواجهها المجلس الأعلى للفنون .

كل هذا أشار اليه المؤلف ، ولكن بشكل يكاد يكون « عاماً » لا تخصيص فيه مع أن من الضرورى هنا التخصيص والتحديد والتدقيق وتوافر وسائل التنفيذ والمتابعة .. الخ

ثم انه عندما أشار الى انجازات الاذاعة والجهود التى بذلها المسئولون الاذاعيون لرفع مستوى الغناء والموسيقى لم يذكر الامثلة التى تدل أو تسير فى الطريق المنهجى ، ومنها تشجيع التأليف الموسيقى البحت ، ومحاولة تجديد صياغة الاوبريتات بالاسلوب الاذاعى ، ومحاولة خلق الاغنية الجماعية .. الخ .. هذه كلها محاولات ممتازة وتحتاج الى استكمال لكى تنتقل بالفن الموسيقى من المرحلة الارتجالية الى المرحلة العلمية ...وصحيح أنه ذكر فى تعليقاته أن المسرحيات الغنائية هى أنسب أنواع البرامج الموسيقية التى يمكن أن يقدمها التليفزيون ، الا أن الأهم هو تناول هذا الموضوع ـ وكل الموضوعات الموسيقية تناولا فكريا ، أى من ناحية التفكير الفنى وكيف نمارس به انتاجنا الفنى .

ولكنه اهتم فعلا بالتفكير الفنى حينما تناول واجبات لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنون ، ثم معهد الموسيقى .

والكتاب حافل بالموضوعات ، ويعتبر اضافة فنية الى المكتبة العربية الفقيرة فىالنواحى الفنية والموسيقية .



عبد الفتاح البارودى

التأليف للتليفزيون

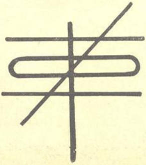
عرض وتحليل : بكر رشوان

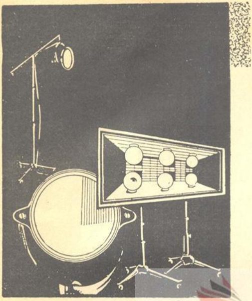
الناشر : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

ان الكتابة عن فن التليفزيون فى العالم تحاول أن تستقر الآن على أسس علمية ، وتكاد أن تتدعم بمقاييس وتقاليد مستمرة من فنون سبقتها ، ومن ثم فقد غطت كتب هذا الفن مجالها بالقدر الذى يسمح لها بالتطور والسير فى الطريق القويم ٠

أما عمر هذا الفن فى بلادنا فهو لم يتعد عامه السادس ، ولا تزال محاولات الكتابة فيه تعتمد على الترجمة اكثر من اعتمادها على التأليف والابتكار ٠٠ فلم يتعد عدد الكتب المترجمة فيه أصابع اليد الواحدة ٠٠ مثل كتاب « برامج التليفزيون انتاجها واخراجها » تأليف ادوارد ستاشيف وترجمة احمد طاهر ٠

فاذا ما قدمت لنا دار النشر كتاب « التأليف للتليفزيون » مترجما ، فان تناولنا له هو تناول الاحتفاء والترحيب ٠٠ لأنه يضيف الى مكتبتنا العربية سفرا جديدا فى هذا المضمار ، ولأنه يشق الطريق أمام جيل جديد من المؤلفين العرب يحتضن هذا الوليد ٠





تأليف : آرثر سوينش

ترجمة : إسماعيل رسلان

مراجعة : أحمد كمال عواد
عبد الرحمن صدقي

الا أنه لا يصح أن يخطر ببالنا أن الكتاب يستهدف خلق مؤلفين للتليفزيون ، وانما هو ينبغى شرح طبيعة العمل التليفزيونى لقوم يتمتعون أساسا بموهبة الكتابة ٠ فها هو مؤلف الكتاب يقول مستدركا « انى لا أكتب للمؤلفين لا خلق منهم كتابا ،ولكن أضع بين أيديهم تجاربى لعلهم يستفدون منها ٠

ويثير المترجم فى مقدمته للكتاب قضية هامة وهى فشل كثير من المؤلفين الكبار فى بلادنا حينما يحاولون الكتابة للتليفزيون بل احجام بعضهم عن خوض هذه التجربة الشاقةوالعسيرة فيقول « ان الكاتب التليفزيونى فى اشد الحاجة لان يكون ملما بكل صغيرة وكبيرة تتصل بنصه التليفزيونى فلابد أن يكون عالما بفن الديكور وبطريقة تنفيذه ويجب أن يكون ملما بشكل كاف بطريقة التطوير وتحركات الكاميرات ومواضعها السليمة وهو لابد أن يكون عارفا بطبيعة الاستوديو وطريقة العمل فيه ويعرف شيئا من الاضاءة وانواعها ومميزاتها وطرق المزج فيها وكذلك لابد له أن يقرأ كثيرا عن الصوت وطبيعته الى جانب معرفته التامة من غير شك بالقواعد العامة للالقاء التمثيلى وعلم النفس المسرحى ٠ »

وها هو المؤلف بدوره يرى أن التليفزيون كموضوع للمناقشة يشغل انتباه أغلب الناس لدرجة تثير الدهشة ٠ ورغم ذلك فلم يصدر كتاب واحد يحاول فى جدية أن يحلل طبيعته أو أن يقدمو أثره ٠

ويثير سوينش منذ البداية مسألة هل التليفزيون مجرد وسيلة جديدة لنشر المعلومات أو أنه فى بعض نواحيه وسيلة فنية جديدة ٠

انه يناقش طبيعة التليفزيون وهل هو وسيلة أداء للمؤلف ، ثم يتعرض لاعتقادين شائعين عن التليفزيون وهما : أن التليفزيون وسيلة آلية باردة لمن يعمل به والثانى أنه ليس فى هذه الوسيلة أية اثارة اذا قورنت بالمسرحلانه ليس هناك جمهور حى ٠ ولكن على الرغم من أن التليفزيون يستخدم كثيرا من الآلات والاجهزة الفنية والميكانيكية فانه لا يمكن اعتباره باردا بأى معنى من المعانى ٠ أما من ناحية الجمهور فان

للتيفزيون جمهوره العريض ولكن هذا الجمهور لايجتمع تحت سقف واحد أو فى مكان محدد ولكنه جمهور حى منتشر فى كل المناطق : فى المقاهى والاندية وفى المدارس وفى الصالونات وفى غرف النوم فالتليفزيون يتمتع بقوة فعالة هائلة ٠

ويفرق الكتاب بين الشخص الذى يريد الكتابة للتليفزيون وبين الشخص الذى يرعب فى كتابة القصة أو المقالة أو رواية فالثانى يستطيع ببساطة أن يحصل على مادة لدراسته ويستطيع أن يقرأ أعمال النقاد ويتبين تطور الاشكال الادبية المختلفة خلال القرون الطويلة أما الكاتب التليفزيونى فانه يجد نفسه فى وضع مختلف تماما قد لا يستطيع الحصول على نصوص البرامج التى أذيعت فضلا علي انه قد لا يستطيع دخول الاستديو اثناء اخراج التمثيلية ٠٠ وحتى اذا استطاع وسمح له بدخول الاستديو فان هذا الامر لن يفيده كثيرا وتلك هى طبيعة خاصة للتليفزيون فالتليفزيون كالبحر فى أنه يحمى كنوزه ويدفن موتاه ٠ وهذا هو السبب فى أن مشاهدة البرامج لا تساعد من يعد نفسه للتأليف للتيفزيون ٠ واذا لم يستطع المؤلف التفكير على ضوء المصطلحات التليفزيونية منذ أن تهبط عليه الفكرة فان فرصته ضئيلة جدا فى أن يكتب نصا طيبا صالحا للاخراج والحل فى هذا الاشكال هو مرور الوقت فبمرور الوقت يعرف المؤلف بالغريزة ما يجوز ومالا يجوز ويصبح لديه احساس بالمادة التليفزيونية ٠ كما انه يجب أن تسود روح الفريق كلا من المخرج والمؤلف ومهندس الديكور ويجب أن يسود جو الثقة المتبادلة بينهم وأن يكون كل فرد منهم على علم بطريقة عمل زميله ٠

ثم يناقش الكتاب موضوعا غاية فى الاهمية . . وهو مدى علاقة التليفزيون بالتمثيلية الاذاعية من ناحية والعلاقة بينه وبين القصة السينمائية والمسرحية من ناحية أخرى . وهذا الموضوع يعنى الكثير حتى بالنسبة للكاتب التليفزيونى فى بلادنا . . فالتليفزيون فى بلادنا لم يستطع الى الآن أن يخلق الكاتب التليفزيونى المتخصص .

فأغلب كتاب التليفزيون يأتون اليك من الاذاعة أو السينما أو المسرح ولذلك يبدو أنه من المفيد بحث البرنامج التليفزيونى وعلاقته بهذه الوسائل الاخرى وتحليل علاقاته وتقدير مدى تقاربها وتحديد الصفات الخاصة بالتليفزيون نفسه . وفى هذا الصدد نجد ان التليفزيون يتشابه مع الاذاعة فى أن لكل منهما جمهورا متشابها لايجتمع فى مكان واحد كجمهور الفيلم السينمائى الذى تجمعه قاعة السينما أو جمهور المسرح الذى تضمه صالة المسرح . . ولكن جمهور التليفزيون والاذاعة هو كل الناس فى كل مكان سواء تحت سقف البيت او داخل المقاهى أو الميادين العامة والساحات الشعبية والنوادى . . كما أن الارسال التليفزيونى والاذاعى هو الذى يذهب الى الجمهور وليس العكس كما يحدث فى السينما والمسرح حيث يستعد الناس لقضاء سهرتهم فى المسرح أو السينما فيرتدون ملابسهم ويذهبون الى المكان المحدد المرغوب فيه ويحجزون مقاعدهم داخل هذا المكان وينتظرون لحظة البداية ولكن البرنامج الاذاعى والتليفزيونى هو الذى يتسلل الى الناس حيث هم موجودون وبلا عناء منهم أو مشقة فهو لايكلفهم النزول الى الشارع أو ركوب المواصلات أو المزاحمة فى الصفوف وحجز المقاعد . . وجمهور الاذاعة والتليفزيون لايملك حرية اختيار مايعرض الراديو . . بعكس السينما والمسرح التى تتدخل الادارة المطلقة فى اختيار الموضوع المشاهد . كما أن مستمع الراديو أو مشاهد التليفزيون يستطيع أن يقطع استماعه او مشاهدته فى أى وقت وبحركة بسيطة للغاية من يده الى زر الجهاز الاذاعى أو التليفزيونى وان كان هذا قد يكون من الصعب حدوثه فى السينما أو المسرح فالعادة جرت أن المشاهد يبقى ليشاهد العرض من البداية حتى النهاية لانه قد تكلف مشقة الحضور فعليه اذن الاستمرار .

أما الاختلاف بين الاذاعة والتليفزيون فهو يكمن فى نوعية الجمهور نفسه فجمهور الاذاعة يستطيع أن يسمع الراديو وهو يشغل نفسه بأشياء أخرى كالاعمال الآلية أو الاعمال التى لاتحتاج الى تركيز وتفكير كبير أما مشاهد التليفزيون فيجب أن يتفرغ تماما لما يعرض أمامه على الشاشة الصغيرة فهو لايستطيع بحال من الاحوال أن يشاهد برامج التليفزيون وفى نفس الوقت يمارس أى عمل آخر . لذلك كان على المؤلف التليفزيونى أن يقول ماذا كان يرى فكرته تنمو كحديث موضح بالصور أو برنامج تسجيلى

يشتمل على أفلام اخبارية للحوادث اليومية أو برنامج تسجيلى مادته كمواد المجلات أو برنامج تسجيلى تمثيلى .. الخ .

كما أنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار عند الكتابة للتليفزيون الاختلاف الهام والجوهرى بينه وبين الاذاعة من حيث فن الكتابة نفسه .. فالمؤلف الاذاعى يستطيع أن يطلق العنـــان لتمثيليته ولقصته تتجول حيث تشاء فهو يستطيع مثلا أن يجعل بطل قصته - بسهولة - مسافرا الى البلاد الاخرى وأن يعبر المحيطات ويذهب الى الشواطىء ويركب القطارات .. يفعل ذلك دون مشقة على الاطلاق فليس المطلوب فى كل هذا سوى بعض المؤثرات الصوتية التى توحى بجو المكان لا غير أو كما يقول آرثر سوينش « يستطيع أبطـــال التمثيلية الاذاعية أن يطارد بعضهم بعضا فوق صخور ساحل شديد الانحدار او على جوانبى ناطحات السحاب ، وقد يستخدمون السفن أو الطائرات أو الغواصات او سفن الفضـــاء او اى شىء يكون سائدا فى حينه وتستطيع الاذاعـــة معالجة كل هذا دون نفقات اضافية أما التليفزيون فيتعين على المؤلف أن يكون واثقا من المكان التى تمضى به قصته اليه » .

والتليفزيون لا يحتمل كثرة المناظر لانه بطبيعة عمله يتم التصوير داخل استوديو محدود المكان - مهما اتسع فهو ضيق - ويتم التمثيل داخل ديكورات محددة .. ولابد فى كل مشهد من اقناع المشاهد بحقيقة المكان الذى يتم فيـــه المشهد والا ضاع تأثير التمثيلية على المشـــاهد وفقـدت التمثيلية بذلك أهم عناصرها وهـــو الاقناع .

ثم يأتى بعد ذلك الاختلاف الآخر وهو الذى يجب أن يتنبه اليـــه المؤلف التليفزيونى وهـــو احداثا يتوقع المتفرج أن يشاهدها أمامه .. بل ففى الاذاعة يكفى الاعتماد على الأصوات اعتمادا كليا .. فعن طريق اصوات الشخصيات وطريقة نطقهم يستطيع المستمع أن يستدل على مركزهم الاجتماعى أو يستدل من طريقة نطقهم للكلمات على تحديد مكان اقامتهم هل هو الريف أو المدن ان على المؤلف التليفزيونى مهمة أخرى غير فنية الحوار .. فالحوار يجب بطبيعة الحال أن يكون مطابقا للشخصيات ومكانتهم الاجتماعية ومكان معيشتهم .. لكن بالاضافة الى ذلك يجب على المؤلف التليفزيونى أن يعـــرض شـــخصياته بالتفصيل والتحديد وطرق لبسهم وحـــركتهم بالدقة وحتى طريقـــة اشاراتهم بالايدى ولفتة رءوسهم .. بل ليتوقع المؤلف التليفزيونى دائما والممثلون وعامل الماكياج وعامل الثيـــاب الكثير من المعلومات ويجب على المؤلف أن يرد على جميع هذه الاسئلة التى توجه اليه لانه ان لم يستطع ذلك لاستنتجوا نتيجة واحدة هى انه لا يعرف شخصياته كما يجب أن يعرفها .

كما أنه هناك فارق كبير بين الاذاعة والتليفزيون يكمن فى استخدام الراوى ففى الاذاعـــة يمكن استخدام الراوى ببساطة فالراوى فى الاذاعة يستطيع أن يصور المشاهد ويقدم الشخصيات ويخرج بالمؤلف من العديد من المآزق التى يقع فيها أثناء الكتابة . أما فى التليفزيون فان طبيعته وهى استخدام الصوت والصورة معا بل اعتماد التليفزيون على الصـــورة أكثر من اعتماده على الصوت فالتمثيلية التليفزيونية يجب أن تكون فى المقام الاول صورا مضافا اليها كلمات وليس مجرد كلمات مضـــافا اليها صـــور وكلما كانت الصور غنية وكافية كانت الكلمات مجرد حشو لا معنى له .

لذلك فانه ليتعذر على الكاتب التليفزيونى استخدام الراوى لانه وسيلة غير تليفزيونية على الاطلاق فوقوف شخص أمام الشـــاشة ليروى أحداثا يتوقع المتفرج أن يشاهدها أمامه .. بل ويجب ان يشاهدها كذلك .. ليس مجد بعدئذ أن يرويها له أحد .

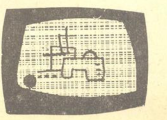
وباختصار يجب على المؤلف التليفزيونى ان

يدرك ادراكا تاما أن عمله سوف يرى من خلال كاميرات تصور من أبعاد مختلفة ومن زوايا مختلفة ويجب عليه فى نفس الوقت أن يراعى حجم الشاشة الصغيرة التى تعرض عليها أعماله فيقلل ماأمكن من المجاميع الكثيرة والحشود التى يمكن أن تكون ملائمة لشاشة السينما ولكنها تكون غير ملائمة بالمرة للشاشة الصغيرة .

أما عن الزمان والمكان فى التليفزيون باعتبارها من أعوص المشاكل ، فقد كان حتما على الكتاب أن يناقش الاستوديو التليفزيونى ومعداته وأيضا يتعرض لنظام الاخراج .. فليس هناك ما هو أدعى الى هزة النفس من رؤية فريق جيد وهو يعمل فى الاستوديو وليس هناك أجمل من مشاهدة ذلك التركيز والعزم المصمم على أداء العمل على أتم مايمكن من الاجادة ..

ويعدد الكتاب العاملين داخل الاستديو وهم عادة عبارة عن مدير الاستديو وثلاثة مصورين وثلاثة مساعدين للتصوير وثلاثة عمال للميكرفون ومشرف للاضاءة وعاملين للاكسسوار .. الخ والذى يهمنا - فى الواقع - من بين كل هؤلاء هو مدير الاستديو .. فمدير الاستديو هو الرجل الذى تحتاج وظيفته الى التوضيح فهذه المشكلة يكاد يعانى منها التليفزيون فى بلادنا فمهمة مدير الاستديو تكاد تكون غير واضحة تماما .. هل هو مساعد للمخرج أم هل هو مجرد منظم لما يدور فى الاستديو .. بل ان هذا الغموض يلقى ظله الثقيل على نفوس العاملين أنفسهم .. فنجد أن معظم مديرى الاستديوهات يتهربون من هذا العمل وينتهزون الفرصة السانحة للتحول الى الاخراج وذلك بالعمل كمساعدين للمخرج معتقدين بذلك أن هذا هو الطريق الوحيد للحصول على لقب مخرج .

ولكننا يجب أن نقول على الفور أن مدير الاستديو شخص هام جدا فى الاخراج بل انه يطلق عليه فى بعض محطات التليفزيون العالمية لقب الرجل الثالث فى التليفزيون واحيانا يلقب باركان حرب الاستوديو فهو فى الواقع يعمل فى البرنامج بقدر مايعمل المخرج فيرى النص فى مراحله المختلفة ويحضر اجتماعات التخطيط ويعرف الكثير عن موضوع البرنامج وهو يشرف على الاستديو أثناء الاخراج ومسئول عن النظام وسير العمل .. وليس هذا بالموضوع الهين . ويجب على المخرج فى نفس الوقت ألا يصدر تعليماته الى العاملين فى الاستديو من خلال الميكرفون الموضوع أمامه الا فى الحالات النادرة بل عليه دائما أن يوصل تعليماته الى كل من فى الاستديو عن طريق مدير الاستديو الذى عليه بدوره أن يترجم هذه التعليمات الى حركة وعمل وبهذا يكتسب مدير الاستديو صفته الرسمية ويأخذ وضعه الصحيح .



ويقول سوينش انه يجب أن يسود التفاهم التام بين المخرج وبين مدير الاستديو فاذا لم يستطع مدير الاستديو أن يفهم التعليمات الآتية اليه من المخرج أو اذا ترجمها بصورة غير دقيقة فان الفوضى تحل قبل أن يعرف أى واحد ماذا حدث .

ويجب على المؤلف التليفزيونى عندما يكتب تمثيليته أن يراعى مشكلة الزمن . فتمثيليات التليفزيون تصور دفعة واحدة وليس على شكل لقطات منفصلة كما يحدث فى السينما .. اذ أن نظام اللقطات فى السينما يسمح للممثل بعمل الماكياج وتغيير الملابس عند كل لقطة ، اما فى التليفزيون فالمشكلة صعبة للغاية .. لان الزمن ضيق للغاية بين المشهد والآخر ، فالتسجيل مستمر و لامجال للتوقف .. فالتليفزيون يتحرك فى زمن حقيقى ، فلا بد من مراعاة ذلك فى النص واعطاء الممثل دائما الفرصة الكافية للتنقل من مشهد الى مشهد أو عمل الماكياج اذا كان لابد من ذلك .

يوجب دائما أن يراعى المؤلف التليفزيونى ألا تكون تمثيليته مجرد قطعة من الأدب فحسب بقدر ما هى تمثيلية تليفزيونية ، وليس من السهل الجمع بين هاتين الصفتين اللتين ليستا بالضرورة متكاملتين ، وليس معنى هذا أننا

نطالب ان يخلو النص التيلفزيونى من العمق الفنى أو الأدبى بل انه فى الواقع من المطلوب دائما أن تكون التمثيلية التليفزيونية قطعة أدبية ممتازة ، ولكن المهم ان تكون أولا تمثيلية تليفزيونية متكاملة تحمل كل خصائص التمثيلية التليفزيونية .

وينتقل بنا الكتاب متحدثا عن البرنامج التسجيلى التمثيلى فنعلم أن أول من أطلق اسم البرنامج التسجيلى هو جون جريرسون حينما تعرض لفيلم روبرت فلاهرتيه المسمى « موانا » وقال ان موضوع « موانا » بيان منظور للحياة اليومية لشاب من جزر بولينيزيا له قيمة تسجيلية .

وكان ذلك فى أوائل الحلقة الرابعة من القرن العشرين ومنذ ذلك الحين أصبحت الكلمة اصطلاحا يطلق على نوع معين من الافلام .

وبالرغم من أن جون جريرسون نفسه لم يعجبه لقب الفيلم التسجيلى وقال عنه أنه :وصف قبيح » الا أنه لم يتمكن أى شخص من العثور على كلمة أفضل منها حتى الآن .

ويقصد جريرسون بالتسجيلى « العلاج الابداعى للحقائق أو موضوعات الساعة » . والافلام التسجيلية تتعدى نطاق الاستديو الى مجال الحياة الواسعة بكل ما فيها من رحابة وسعة وخصوبة والأفلام التسجيلية تتعدى أيضا فى موضوعاتها النطاق الضيق الذى تدور فيه الأفلام الأولى ، وهو عادة موضوع الحب ومشكلاته فأبطال الافلام التسجيلية يمكن التعرف عليهم كنوع من البشر يراه المرء فى أى شارع وفى أى مكتب وفى أى مصنع .. وهم بالتأكيد أناس يسيرون على المنهج الطبيعى فى الغزل وفى الزواج وفى بناء الاسرة مع الاحتفاظ لكل شىء بنسبه الصحيحة .

وكان أول برنامج تسجيلى تليفزيونى هو « المانيا تحت الرقابة » الذى كان روبرت بار قد وضعه وأخرجه ثم أذيع فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٦ .

وقدم روبرت بار أيضا برنامجا آخر بعنوان « أريد أن أكون ممثلا » وهو برنامج من تأليفه ولكن اخراج ميخائيل بارى . وتلا ذلك برنامج « أريد أن أكون طبيبا » الذى وضعه وأخرجه ميخائيل بارى ، وكان أول برنامج بين الطريق نحو نضج الموضوعات التسجيلية ذات القالب التمثيلى .

وبعد روبرت بار وميخائيل بارى جاء ونكان روس وقد ساهم هؤلاء الثلاثة فى تطوير الأفلام التسجيلية التمثيلية ، وكادت أن تستقر على مبادىء رئيسية تنقسم الأفلام بمقتضاها الى ثلاثة أنواع رئيسية هى :

١ ــ التسجيلية التمثيلية .

٢ ــ التسجيلية الاخبارية .

٣ ــ التسجيلية التى تشبه المجلات .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار دائما أن التليفزيون ليس مجرد بديل للمسرح أو السينما وليست مهمته ــ بالمعنى الضيق ــ الترفيه . وانما هو نافذة واسعة على العالم كما وصفه موريس ويجين ناقد جريدة صنداى تايمس الذى قال : « التليفزيون بديل للرحلة والصحبة بينما نحن منكمشون فى مخابئنا نستخدمه كمنظار نتبين به الناس والعالم » .

والخصائص الاساسية للبرنامج التمثيلى تتمثل فيما يلى .

١ ــ يقوم بتمثيله ممثلون يقلدن بدقة وبكل ما أمكن للأناس الذين يمثلونهم .

٢ ــ يتم اخراجه حيا فى الاستديو بمساعدة بعض الفصول السينمائية .

٣ ــ تقلد الاماكن الحقيقية التى تقع فيها الاحداث وتركب فى الاستديو .

٤ ــ القصص حقيقية بمعنى أنها مأخوذة من الحياة مع أقل ما يمكن من التعديل .

وبذلك يمكن أن يطلق عليه أيضا لقب « درامات واقعية » وقد كتب موريس ويجين أخيرا يقول « ان النقطة الهامة فى البرنامج التسجيلى هى أنه حقيقى بالمعنى الحرفى للكلمة ، فاذا لم يكن حقيقيا بالمعنى الحرفى فلن يكون برنامجا تسجيليا بل يكون شيئا غير هذا وقد يكون تأليفا مسرحيا » .

وهناك رأى يقول أن البرنامج التسجيلى التمثيلى ليس برنامجا تسجيليا على الاطلاق لأنه كتب ومثله ممثلون محترفون ، ولأنه أخرج فى الاستديو . وهذا بالطبع يخالف الرأى الذى قال به جريرسون من قبل .

ويجب على المؤلف التليفزيونى الذى يتصدى لكتابة برنامج تسجيلى ألا يأخذ أى شىء أمرا مسلما بصحته بل يجب أن يقوم بقدر كبير من البحث عندما يضع أى برنامج ·

والجدير بالملاحظة هنا أن الكاتب لا يزال حتى الآن يهدف أول ما يهدف الى شرح طبيعة العمل التليفزيونى باعتباره المفتاح الأساسى للكاتب التليفزيونى أو للشخص الذى يريد أن يتخذ التأليف التليفزيونى وسيلته الى التعبير ·

واذا انتقلنا الى الدراما التليفزيونية نجد أن لهذا العنوان دلالة مهمة تستهوى كل كتاب التليفزيون أو على الأقل معظمهم لأن أغلب الذين يتطلعون الى التليفزيون من الأدباء كأداة لنشر انتاجهم واظهار أفكارهم انما يتجهون أساسا الى الدراما التليفزيونية باعتبارها أقرب الوسائل الى الأشكال الأدبية المتعارف عليها ·

وقد يكون من المعروف أن الدراما نشأت أساسا فى أحضان المسرح ، وحتى عندما انتقلت الى الوسائل الاخرى كانت لا تزال تحمل رائحة المسرح الا أن السينما استطاعت أن تتخلص سريعا من سيطرة المسرح الا أن الدراما الاذاعية لا زالت مرتبطة بالدراما المسرحية بشكل ما وان كان بترون جويرى استطاع فى العقد الثالث من القرن العشرين اخراج شكل جديد مثير من الدراما الا أن العمل الأصلى فى الاذاعة ما زال منحصرا فى الموضوعات التمثيلية ·

ويقول المؤلف آرثر سوينش أن الكوميديا الحقيقية والدراما والمأساة هى أقرب احتمالا للنجاح فى التليفزيون — ويضرب بذلك مثلا أنه سمع محاضرة منذ خمسة أعوام جاء فيها أنه من المستحيل اخراج مسرحيات تشيكوف فى التليفزيون لان عقدتها بسيطة كما أن شخصياتها شديدة التعقيد ولهذا فهى تعتمد كثيرا على الجو وقد وافق سوينش المحاضر فى هذا الرأى · الا أن هارولد كلايتون استطاع فى العام الماضى تقديم عمل فنى رائع وهو اخراج مسرحية « الافولت الثلاث » ، لتشيكوف على شاشة التليفزيون فتبين بذلك خطأ المحاضر ·

ويجب على التليفزيون أن يطور شكلا جديدا من الدراما تلائم احتياجاته وامكانياته الخاصة ، وتلائم أيضا طبيعة جمهوده وطريقة تلقيهم للأعمال التليفزيونية ولذلك يجب أن يتخلص التليفزيون من سيطرة المسرح وأن يتجه مباشرة نحو دراما تليفزيونية خالصة ، لأن بناء التمثيلية التليفزيونية مختلف تماما عن بناء المسرحية وكذلك تختلف مادة الموضوع · وجمهور التليفزيون ليس صغيرا وليس محدودا بمكان ولا محاطا بجو نفسى واحد هو متفرق فى كل مكان وممتد عبر البلاد ومختلف اختلافا كبيرا فى الذكاء والاهتمام والمراكز الاجتماعية ·

وكما قلنا سابقا ان التليفزيون ليس مجرد بديل للمسرح أو السينما بل هو نافذة على العالم ولما كان الأمر كذلك فلا بد أن تأخذ موضوعاته من الحياة مباشرة ثم تدخل هذه المادة المصنع فى ذهن المؤلف وخياله ·

ويؤكد المؤلف قوله بأن التليفزيون يجب ان يستمد مادة تمثيلياته من الحياة ، وهو فى هدا أقرب من المسرح والسينما ويدعم بادى تشايفسكى هذا الرأى بقوله « يوجد على المسرح تقليد الانطباعية والتأثير ·· فالجمهور يقبل ظهور عشرة أشخاص على المسرح على أنهم يمثلون زحاما ولكن الجمهور لن يقبل هذا من التليفزيون » ·

ويضيف بادى تشايفسكى عن الدراما التليفزيونية « ان التأليف التليفزيونى شكل من الدراما خاص بنفسه وهو أكثر خاصية مما يعرف حقا أى واحد ممن يكتبون الآن لهذه الوسيلة فهناك أسلوب خاص وصناعة خاصة ، ويظهر كونها مزيدة من فشل المؤلفين المسرحيين اللامعين فى برو دواى وكتاب السيناريو فى التحول الى التليفزيون » ·

فما أحوج القارىء فى بلادنا الى العديد من الكتب التى تتحدث عن التليفزيونية وطبيعته ومن الدراما وخصائصها ، وعن الاخراج التليفزيونى وطرقه ·· فان هذا الميدان ما زال بكرا لم تطرقه الأقلام بعد ·

ولذلك فنحن نرحب بكتاب اليوم الذى عرضنا له وهو « التأليف للتليفزيون » ونرحب كذلك بكل كتاب يرتاد هذا الميدان وينير الطريق أمام القارىء نحو طبيعة هذا الساحر العجيب ·· « التليفزيون » ·

« **بكر رشوان** »

المحاورات الجديدة



تأليف : دكتور لويس عوض

عرض ونقد : محمد كمال الدين

الكتاب الذهبى - يناير ١٩٦٧

١٢٩ صفحة - الثمن ١٠ قروش

يحتل الدكتور لويس عوض فى حياتنا الادبية والثقافية مكانا بارزا ، بفضل ما قدمه الى المكتبة الى المكتبة العربيـة والى المثقفين العرب من كتب ودراسات قيمة حملت اتجاهه العام وهو اهتمامه بالتراث الانسانى فى الفكر والأدب ، ثم اهتمامه بالقضايا الاجتماعية البـارزة التى تعترض حياة المثقفين ، وهو فى كل هذا يتخذ موقفا وسطا غير متحيز ، وقد يتراءى للبعض أن يتهمـه بالغرور والاستعلاء أو التحيز ، ولكن المؤكد أن أراءه تتسم فى عمومها بالأصـالة والعمق ومراجعة النفس ، ذلك لأن المفـكر الحق هوالذى يدلى بآراء يمـكن مناقشتها والتصدى لهـا ، وعلى مستوى لا يقـل عنهـا تعمقـا ودراسة ، وبحيث يمـكن أن تعيش لفترة قد تطول حتى تصبح تراثا باقيا .. وهذا - بعينه - هو موقف فكر لويس عوض وآرائه ، بدليل أنه يثير باستمرار مناقشات حامية تبعث على الكثيرمن التساؤل، وتضطر المناقش أن يراجع نفسه أكثر من مرة قبل أن يدلى بدلوه حتى يكون على المستوى الفكرى المماثل أو القريب ..

وهذا أيضا ما يثيره كتاب لويس عوض الاخير : « المحاورات الجديدة » أو « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » ، وقد استوحى محـاوراته من مناقشـات دارت فى

مهرجان الادب الذى أقيم بمحافظة الدقهلية بمدينة المنصورة فى يونيو عام ١٩٦٥ ، وتحدث فيها بعض رواد الادب والثقافة فى بلادنا فيما سمى بلقاء الثقافات ، وقد أراد لويس عوض أن « يستوضح فيها حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، لأنه أحس أن هذه الأسئلة التى يرددها الشباب دون أن يعرفوا لها معنى محددا قد دفعته الى تقديمها ، وذلك فى حدود علمه وبوحى ثقافته وتكوينه النفسى ٠٠ »

وقد سلك لويس عوض فى بيان آراء محاوريه مسلك الرمز فستعاض عن اسمائهم الحقيقية باسماء رمزيه ، وكنا نحب — رغبه فى الصراحه وجلاء الحقيقه — الا يلجأ الى هذا الرمز ، ذلك لاننا لنا نريد معرفه أشخاص المحاورين ، وان نتتبع بدقى ارائهم من خلال دراساتهم ونتبعهم فى المجالات الاخرى ، وحتى تكون المواجهه مباشره ، خاصة وأنه قد سبقت امثال هذه المواجهه علنا وبصراحه على صفحات مجلاتنا وجرائدنا ، فكانت المتعه — فى رايى — تتم لو ذكرت هذه الاسماء صراحة ٠٠ صحيح أن كثيرا من قراء الأدب والثقافة عندنا قد عرفوا معظم هذه الاسماء ، ولكن ماذا سنقول للتاريخ فيما بعد حين يطلع على هذا الكتاب ؟

نقطة أخرى ناخذها عليه ، وهى أنه اكتفى بايراد الصورة السلبية من رأى المتحاورين ، وكانت تتسم فى أغلبها بالهجوم والعنف ٠ وحبذا لو كان أكمل الصورة بالرأى الايجابى أو بجانب لا يسم الكتاب بوجه عام بشبهة التحيز حتى ليمكن القول بأن لويس عوض اكتفى بايراد الآراء المؤيدة لوجهة نظره بحيث كان هو الموجه الأول لها ، والقائل — على لسانه — بمعظم الآراء ووجهات النظر ٠

والكتاب بعد هذا يحتوى على سبع محاورات تتناول قضيتين ، الأولى — وهى عابرة — قضية الحياة الفكرية التى يعيشها أدباؤنا ونقادنا فى هذه الأيام ، وهى فى رأيه حياة مضطربة غير مستقرة ، تمتلىء بالتيارات المتطرفة ، وتهتم بالمشاكل الفردية والجانبية ، ولو عاش الادباء والنقاد حياة مجتمعهم وثورتهم ، لكان لهم موقف مغاير وآراء منطلقة أخرى ، بل لو عاشوها فى اخلاص وتجرد عن الهوى والاندفاع ، لأثريت بالكثير القيم ٠٠

أما القضية الثانية — وهى الأساسية — فيتناول فيها قضية المرأة عبر العصور وما اتسمت به من من تطورات شملت حياتها فى الاسرة والمجتمع ، وموقف الرجال منها ، ثم موقفها هى من قضايا الاخلاق والشرف والعفة والحقوق الاجتماعية ، وقضية المساواة ، ويتناول لويس عوض هذه القضية فى العصر الفرعونى ثم فى العصر اليونانى ثم فى العصر الرومانى ، وأخيرا فى العصر الحديث

والدكتور لويس يستعين بتوضيح هذه الآراء مقارنا اياها بالمرأة العربية على مر تاريخها أيضا ٠ وواصلا الى نتائج احصائية مهمة ، والى نتيجة عامة يمكن أن تلخص فى سطرين ، وهى أن المرأة هى المرأة منذ نشأت ، تحركها غريزتها وتتلاءم مع كل عصر وجو بحسب تياراته السائدة ، وتعمل لصالح قضية جنسها ولو اضطرها هذا الى اتخاذ مسالك الحيلة والدهاء ٠٠

والدكتور لويس يستعين بتوضيح هذه الاراء — الى جانب أصحاب الاسماء الرمزيه — باراء بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ، وباسمائهم الصريحة ، وارائهم الحقيقيه لما وردت فى مؤلفاتهم وهنا قد يصبح السؤال : ولماذا التفريق ؟٠

واحب قبل التعرض لقضيه المراه ، وما اورد فيها المؤلف من دراسه ممتعه حقا ، ان افرغ سريعا من كلمه حول الجانب الاول من الكتاب ٠٠ فقد وردت بعض الاراء فيه تبين استشراء الرجعية فى تأليب المثقفين على مبادىء الميثاق متمثله فى مجلتى الرسالة والثقافة ، و « كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلط وقطع حديد خردة وصفائح سردين فارغة ٠٠٠ الخ واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم أحد ، وجربوا تلعيب الحواجب ٠٠٠ واللعب بالنار والمفرقعات » ونادت بالرجعية وعبادة السلف وانحطاط المرأة وبضرورة اعتقالها فى الريم ٠٠ (ص ١٩) ، وأن هذه الرجعية كانت تنادى بالعزوبة — على لسان كافور الحادى ص ٢٣ — وبأن الوجود عندهم مكون من « أنا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر ، وأن الآخرين لا وجود لهم الا من خلالى ٠٠٠ الخ وهذه الرجعية ترى أن نساء العصر الذهبى القديم كن أكثر احتشاما من نساء هذا العصر ، وأنهن كن لايسفرن



الا لذوى الأرحام ولا يتبرجن ·· وينبرى صاحب المحاورات ـ وهو المعلم العاشر ـ فيرى أن نساء العصر الذهبى ولا سيما الارستقراطيات وبنات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم ، ويستشهد بلزوميات المعرى ويستنتج منها أن نساء العرب عرفن المدارس والعلم والدروس الخصوصية (ص ٢٩) كما يستشهد بأبيات من الشعر القديم تثبت ذلك ··

وقضيه الرجعية فى أدبنا ونقدنا الحديث قضيه مؤلده ، فلا شك ان الادب والنقد الحديثين لم يسايرا حتى الان اجراءاتنا الثوريه، ولم يوا لبا بعد اعمال الثورة ، ولم يعطياها ما هى جديرة به من اهتمام وتقييم ، وهذا على العكس تماما مما قامت به انشطه اجتماعية عديدة أخرى ، كأنشطة العلم والاقتصاد والصناعة والتجارة مثلا ـ وكان ينبغى عليهما ـ باعتبارهما المرآة الأولى العاكسة لقضايا المجتمع ـ أن يتصدرا الركب·· ومع ذلك فالدكتور لويس عوض يحمل عليهما حملة شعواء، وليس هذا هو الموقف الناقد الموجه بقدر ما هو موقف المهاجم المكتفى من الصورة بوجهها السلبى، فلا شك أننا لا نستطيع بهذه السهولة أن نتهم أدباءنا ومفكرينا بمعاداة التطور الاجتماعى وقضايا الفكر الحديثة ، فصحيح أن لبعضهم مواقف شخصية ، وسرية غير معلنة تحمل أمثال هذه الآراء ، ولكن من الصحيح أيضا انهم قاموا بدور ـ وان كان بسيطا حتى اليوم ـ فى توجيه واثراء حياتنا الفكرية ، وان كان ذلك فى مجالات تخصصية أكثر مما هى مجالات عامة شائعة ، ومع هذا فنحن ننتظر منهم ـ بمراجعه مواقفهم ، واستلهام ضمائرهم ، والنظر الى مجتمعهم نظرة أكثر واقعية وتجاوبا ـ ننتظر منهم أن يقوموا بدورهم المفروض ، فليست الثورة الا ملكا خالصا للشعب بطبقاته الكادحة ، وليست أعمالهم فى النهاية الا وسائل للنهوض الفكرى والاجتماعى لها ·

وجود الرجعيةاذن أمر محقق، ووجود المتطرفين فى الرأى شىء حقيقى ومتوقع ، وواجبنا ـ باعتبارنا الكثرة الغالبةـ أن نكون حصن أمان، ووسيلة عمل خلاق ، وحماية لمكاسبنا من أى تطرف أو تعصب حتى نضمن للركب أن يسير بلا عثرات وأن يحقق خطته فى حياة حرة كريمة، والذى سيعود على اقتصادنا وسياستنا ومجتمعنا ينعكس أثره حتما على الحياة الفكرية والادبية والتقليدية لنا، ومن ثم لايضر لنا ان نطالب أدباءنا ومثقفينا بمراجعة موقفهمواتخاذ الخطوات الحاسمة والسريعة للحاق بالركب ، ليكونوا ـ كما هو المؤمل ـ طلائع التقدم والثورة ·

ويواصل لويس عوض آراء الرجعية، والتقدمية، خلال محاوراته السبع فى قضيه المراة ، فيذكر فى المحاورة الثانية « فى المراة الذهبيه وسلوكها الذهبى » أن المراة العربيه قديما عرفت الكوافير والتعليم فى المدارس والتبختر على البلاجات وأحيانا فى غير البلاجات ، ويضرب مثلا بزوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة وتجربة لامرىء القيس (ص ٣٤ ـ ٣٥) ثم تجربة عمر بن ابى ربيعه ، وكيف كانت النساء بذلك تعرفن حيل العشاق والمقابلات الغرامية·· ويستشهد فى ذلك بكثير من الابيات الشعرية ، وهى على أيه حال امثلة فردية لا تمنع من القول بأن نسبة الفضيلة والتادب ـ بصفة عامة ـ كانت قديما أكثر منها الآن ، وان ولد هذا بلا شك كثيرا من الامراض النفسية التى لم تكتشف الا حديثا !·

ويتناول فى المحاورة الثالثة ـ « فى المرأة » ـ قضية الهجاء ويعتبره فنا عربيا قديما ، وهو حديث أيضا، كما أن الصالونات الادبية قد عرفت قديما ، وأن التعرض للنساء بالغزل والتشبب قد

عرف عند جميل بثينة والرقيات ووضاح اليمن والاحوص والاخطل وغيرهم ، ثم يلقى نظرة على أدبنا الحديث فيجده خاليا الا من النذر اليسير من تصوير النساء وقضية المرأة عموما ، ويتساءل : ماذا سيجد مؤرخ الأدب عام ٢٥٠٠ من النساء ؟ انه سيجد مثلا أوصافا غريبة وتحليلات عجيبه لا نظير لها فى الأدب العربى فى أى عصر من العصور لشخصيات مصريه تظهر لاول مرة على خشبه المسرح مثل طواف نعمان عاشور ومرعوز يوسف ادريس ٠٠٠ الخ ، وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهه حين ينظر فيما سيبقى من أدبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب أو يكاد يكون خاليا ، ويفترض ـ وهذا رأى المعلم العاشر ويمثله رأى لويس عوض نفسه ـ أن أغنية « انت عمرى » لن تعيش الى سنة ٢٥٠٠ وأن نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ٠٠ وسيبتسم مؤرخ الأدب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ ؟ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة أبولو وفى الحرب العالميه الثانيه ؟ ويجيب لويس عوض : لن يجد مؤرخ الادب عام ٢٢٠٠ فى شعرنا ومسرحنا أى دليل على أن مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا أهمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لأنه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة ! ، أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لأشياء أخرى أشد خطرا وعمقا ٠٠ الخ (ص ٥٣ ـ ٥٤) ٠٠ وهذا الراى متشائم بالقطع ، كما أنه غير دقيق فى احصاء أدبنا ، فا نالقارىء لهذا الأدب سيجد قطعا نماذج كثيرة فى أدب يوسف ادريس ويوسف السباعى ومصطفى محمود ويحيى حقى وأبوالمعاطى أبو النجا ، ولن يقتصر على نماذج ضحلة فى بعض الأعمال الأخرى ، هذا فضلا عن وجود بعض الاديبات الحاذقات اللائى برعن فى تصوير المرأة٠ أما الرأى الذى نؤيده فيه ـ فى هذه المحاورة ـ فهو أن العرب كانوا مبدعى الحضارة الغربية وأن الفضل يعود اليهم فيما لحق بالعالم بعدهم من مظاهر العلم والتقدم ، أما الرجعيون ـ سدنة القديم ـ فانهم أشد خطرا على تراث القدماء ، لأنهم حنطوا حضارة السلف ٠٠ وقطعوا جذورنا ، وجعلونا كاطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم لا يعلمون أن أباهم لا يرقد فيه رقدة الموت ولكن ينام فى غفوة من سبات عميق (ص ٥٧) ٠

يستحضر لويس عوض العالم الاثنولوجى مالينوفسكى فى المحاورة الرابعة « فردوس القطط والكلاب » ـ ليرسم صورة للمرأة فى علم الاجتماع. ويهمنا منها بعض الحقائق العلمية التى عرفت فى هذا المجال ٠٠٠ فأول أثر للمرأة وجد على الأرض كان بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف والتى يرجع تاريخها الى نحو ٢٠٫٠٠٠ سنة أى فى العصر الحجرى القديم ، وكان الفنونون يركزون فيها على أعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب ٠٠ وأن المرأة العاملة عرفت منذ عصر الصيد ، (منذ ٧٠٠٠ سنة) ، وكانت تقوم بأعمال البذر والحصاد وصناعة المنسوجات، وفى العصر الذهبى كانت النساء يحكمن الرجال حكما رسميا، ويقمن فى قبائل كثيرة نظاما سياسيا واجتماعيا يسمى « حكومة النساء » ٠ وقد اكتشف علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع ، وكذلك كان لهن سطوة عظيمة فى اقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى ٠٠٠ ثم يقترح المؤلف أن يكون من مهمة البعثات التبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية أن تهتم بدرس عادات القبائل الزنجية التى تتصل بها ولهجاتها ونظمها وديانتها فتفيد



بذلك فلم الأنثروبولوجيا ويستطرد مالينوفسكى – مقاطعا من أبى الفتوح الصباح والقط الاسود وعلى الزئبق وغيرهم مقاطعات سخيفة – فيورد آراء باخوفن الالمانى والاثنولوجى الأمريكى مورجان ثم مارتس وانجلز وبيل فى المرأة والمجتمع والزواج ٠٠ ثم ينقد مالينوفسكى – بلسان لويس عوض طبعا – بعض عاداتنا الاجتماعية الراهنة فى المحاورة الخامسة « بتاح رحتب وحمورابى وشركاؤهم » مثل عادة الختان وزيارة المقابر ومقاومة دعوة تحديد النسل والتجمعات الطبقية ، وعدم التخطيط فى التوظيف (ص ٧٤ –٧٥) ، ثم يستدعى العالم شمبوليون الذى توفى من ١٣٠ سنة ويدلى بمعلومات طريفة ، منها أن مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المرأة ، وأن الزوج المثالى – فى ذلك العصر (نحو ١٣٠٠ ق٠م) – كان يغسل الصحون مع زوجته ، وتقول احدى البرديات فى بعض القواعد التى تضعها للزواج السعيد ٠٠ تقول للرجل « لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ولا تسألها عن شىء أين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ٠٠ » ، وكان أثر المرأة المصرية لا يقتصر على البيت وحده ، بل تعداه الى السياسة وشئون الحكم، فكانت حتشبسوت وتى ونفرتيتى ونفرتارى وتيوتريس و كليوباتره من الملكات ذوات السطوة العظيمة فى الحكم٠ ثم يورد شرحا مطولا عن عقوبة الزنا فى بابل وقوانين حمورابى وكذلك قضية الطلاق والزواج ، وكنت أود لو امتدت المناقشة حول قضايا أكثر أهمية بذكر بعض الأعمال الجليلة التى قامت بها المرأة المصرية قديما ومدى تأثيرها على المجتمع ٠٠

وفى المحاورة السادسة « افروديت الذهبية » يستدعى العالم والاستاذ الجامعى روستوفتسيف الذى مات عام ١٩٥٠ فيتحدث عن كيف كانت المرأة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان، فيركز على حادث حرب طروادة التى قامت لمدة عشر سنوات بسبب خطف باريس ابن ملك طروادة لهيلانة زوجة الملك مينلاوس ومعانى الخيانة فيه ، ويذكر أن اليونانيين اهتموا بشىء واحد هو تحرير الرجل ، وأن مكان المرأة كان فى البيت ، وكان لا يسمح لها أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ، أما الشبان والبنات فكانوا لا يرى بعضهم البعض الا فى الأعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ودائما وسط جماعات وليس على انفراد وأن المبدأ العام فى اليونان القديمة كان أن المرأة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسأل : أم من هذه ؟ لا زوجة من هذه ؟! كما كانت تأكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال فى الحفلات والمآدب ، وهذا يثبت أن المرأة الأوربية منذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب أن تعامل بالعصا ، وتعرف من بعض الآداب أن النساء كن يسجن فى حرملك يسمى بحجرة النساء ويستشهد فى هذا بكتب الأدب والقانون القديمة منذ ذلك العهد ٠

ويستدعى العالم جيبون الانجليزى فيعطينا صورة للمرأة الرومانية – وذلك فى المحاورة الأخيرة « ختامها مسك » – فيذكر أنها كانت على عكس المرأةاليونانية على خط مستقيم، فقد عرفت الحياة الزوجية فى سن مبكرة ، عرفتها الفتاة منذ سن ١٢ سنه والاولاد منذ سن ١٤ سنة ، وكانت أقدم صور الزواج عندهم هى شراء الزوجة من أبيها ، وكان قانون الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ – ٤٤٩ ق٠م) يحرم الزواج غير المتكافىء ، وبتقدم المدنية الرومانية أصبحت المرأة « ست بيت » بحيث تشارك فى الانفاق على البيت وتستقل اقتصاديا لدعم مركزها وتأكيد حريتها ٠٠ ولكن هذا التساهل اشاع الخيانة الزوجية ، ويسر أمور الطلاق ، ويركز فى أكثر من صفحة بعد ذلك على الزنا والخيانة ٠٠ الخ وهذا أكثر مما ينبغى ٠

ومن المفيد الهام فى هذه المحاورة الاخيرة ذلك التقرير الذى رفعه عبد الحافظ خطة ! عن درجة العمالة بين نساء العالم (ص ١٢٠–١٢٢) فيذكر مثلا أن نسبة العمالة فى الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا بين الرجال والنساء هى ١:٢ ، وكانت فى روسيا قبل ثورة ١٩١٧ هى ١٠ – ١ ، وارتفاع النسبة فى عمالة النساء جاء نتيجة للثورة وتدعيم حرية المرأة ومساواتها بالرجل ٠٠ أما فى انجلترا فكانت نسبة العمالة فى النساء تبلغ نحو ١٥ ٪ من مجموع القوى العاملة أى ١: ٧ تقريبا، فلما نالت المرأة حقوقها، زادت نسبة عمالتها الى ١ : ٣ ٠ وفى أمريكا نحو ٧٠ مليون وظيفة منها ١٤ مليونا للنساء ، ٥٦ مليونا للرجال أى بنسبة ١ : ٤ ، وفى فرنسا لم



تحصل المرأة على حق الانتخاب الا عام ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل، وتبلغ نسبة العمالة بين النساء والرجال ١ : ٦ ٠٠ ويقارن المؤلف – على لسان رجل الخطة – هذه الحالات بالحالة فى مصر فيذكر أن ليس هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى ، وانها المعروف أن مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين ويظن أن نسبة العمالة بين النساء والرجال عندنا تبلغ ١ : ٦ ، ورغم هذا فالمرأة المصرية عاجزة عن اصلاح قوانين الأحوال الشخصية ، ووسيلتها الاولى فى ضمان قوتها اليومى هى تكبيل زوجها بعشرة أطفال حتى يعجز عن التخلى عنها أو لتضمن لنفسها اعانة بطالة أو اعانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق، وهذا مايجعل كل خططنا لتحديد النسل هباء فى هباء ما لم تعدل قوانين الأحوال الشخصية بحيث تمنع فصل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التأمينات الاجتماعية ٠٠٠ (ص ١٢٢) ٠٠

وينتهى النقاش – رغم أصوات الرجعية والتقدمية – الى وعد من الدكتور لويس عوض ، بعقد محاورات أخرى قادمة سوف يدور موضوعها فى الدورة الثانية حول « نظم الحكم بين القديم والجديد» ، ونحن فى انتظار هذه المحاورات الجديدة ونأمل أن تكون فى دسامة محاورات هذه الدورة الأولى ، وأن تكون لها من صراحة الاسماء ما لها من صراحة الآراء ، وأن تستمر فيها خفة الروح والظل فى المناقشة فتبتسم معها مثلما ابتسمنا فى « المحاورات الجديدة » ، ومجال الحكم الأخير عليها هو للتاريخ وخبرة المثقفين فى بلادنا ، فلعله يورد بعضها فى محاوراته القادمة ، ولعله يهدىء من صوته وعنفه حتى تكون منه الفائدة أعم وأشمل ، وحتى تدخل تاريخنا الأدبى والثقافى فتحتل فيه مكانها اللائق ٠

محمد كمال الدين على يوسف

عالم ليس لنا

تأليف : غسان كنفانى
عرض ونقد : سمعان اسكندر

الناشر : دار الطليعة ببيروت - فبراير ١٩٦٥ - ١٦٠ ص ١٤×٢٠ سم

حين يصير البطل بلا بطولة ، وتبرز لحظة التحامه بالواقع لابد ان يتدفق حزن ، حزن هادىء ينساب مثل مجرى نهر ، مثل نغم ناى حزين يلقى بظله القاتم على أمسيات قرية فيصبغها بالماساوية ، الرتابة ، الملل ، القهر ، كل أنواع القهر ، وجدان الانسان الممزق هنا وهناك ، حركة الواقع وهو يسلب الانسان انسانيته . هنا لابد يمتزج كل شيء بالحلم . يلتئم الوجدان الممزق بالحلم . يحقق الانسان ذاته بالحلم . يزول القهر بالحلم . تقفز اللحظات مرحة وخفيفة وفى رشاقة بالحلم . وحين تصطدم بالواقع أحلام الانسان الموؤدة يبدأ يبحث لنفسه عن وهم يعيش لأجله ، فينساب مرة اخرى نفس السيل الحزين ليصبغ الحياة بنفس الظل الماساوى القاتم .

ما ابشع ان يضطر الانسان الى ان يعيش مأساة حياته ، أن يلتصق بلحظته الحضارية كسير الجناحين ، احزانه الصغيرة تتكدس لتؤسيه ، لحظات القهر تمد حياته بطعم جنائزى . هى لا تقتله ، لكنها تدمره بطيئًا بطيئًا . تعصف بالانسان الكامن فى اعماقه ، تحيله تروسا فى آلة ثم تغلف فكره بصدأ يكثف يوما اثر يوم ، فيلفظ روحه دون أن يموت .

ذلك هو الخيط الذى يربط كل هذه القصص فى نسيج واحد . قضية يطرقها غسان كنفانى بعنف . لحن واحد مميز يحيره ويحزنه ويشقيه ، الحضارة المنهارة ، الحضارة التى تقدم لنا عالما ليس لنا ، لانها وهى تقوم ، تقوم على صرح الانسان فينا ، تمنحنا الآلة ثم تسلبنا هذا الانسان ، تمنحنا أسلوب العلم وقدراته ثم تسلبنا الكلمة ، تصل بنا الى عوالم جديدة من قبل ان نعثر على مواطىء أقدامنا فى عالمنا القديم .

تلك هى المأساة التى تعصف بوجدان غسان كنفانى المرهف ، مما جعل كل ابطال قصصه يجترون أساهم فى صمت .

العجوز التى فاتها عرس ابنتها فى البرازيل ،

فلما حرصت بكل ما لديها من رغبة الا يفوتها هذه المرة عرس صديقة ابنتها ، ثم تزودت لذلك بباقة ورد بيضاء وثوب جديد وحرص على الموعد ، كان هذا العرس ايضا قد انتهى ، وأبواب الكنيسة بدورها قد أوصدت أما الراهب الشاب فقد أوشك أن يمضى الى غرفته .

شاطىء بعيد المنال لم تستطع العجوز ان تصل اليه ، حلم ليال طويلة عصفت به رياح عالم لا مكان فيه للوهن .

وعند غسان كنفانى يعتبر الوهن ظاهرة عامة تشير الى أزمة الانسان المعاصر ، ازمته مع نفسه ومع الآخرين ، ثم ازمته مع واقعه المتحرك وهو يمزق وجدانه ، وأيا كانت حركة هذا الواقع الى الامام أو الى الوراء فان النتيجة الحتمية لذلك أن يحس الانسان نفسه بوهن ، بوجدانه ممزقا ، بحركة الواقع يجرفه ويعوقه .

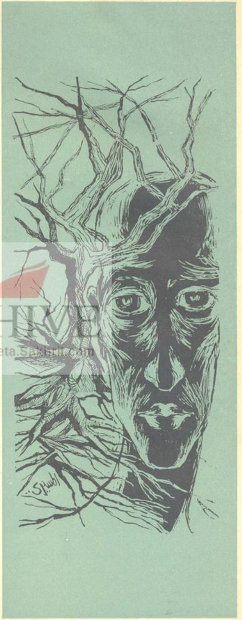
من هنا احس طبال الأعراس بخيط الأزمة يلفه ويشله حين بدأت السيارات تدخل ميدان عمله ، وبدأ الناس بدورهم يتزوجون بلا زفة .

عار .. عار كبير أن يتزوج الناس بلا زفة ، أن يختبىء العريس فى سيارة كأنما يخجل من الزواج ، أن تحمل السيارات البشر كالسردين ثم تنقنق بهم كالضفادع ، أين اذن فرحة العمر .

أمر طبيعى أن ترتبط فرحة الزواج عند الطبال بالزفة والطبلة والخيزرانه التى لا تخطىء أبدا ، وهو ارتباط ربما تجد النظرة الضحلة اليه مجرد اذعان حتمى لحاجة ملحة الى الخبز ، لكن النظرة المتأنية تكشف عن عالم مستقل قائم بذاته وحبيب الى قلب صاحبه .

يتكوم حوله الشبان . يحدون العريس الى بيت العروس ، يصفقون ، يشاركونه الغناء ، ثم يثنون على براعته فى ضرب الطبلة بالخيزرانة ، والطبلة ذاتها تدور من خلف ظهره ثم من بين ساقيه ، ثم من وراء عنقه ، ولا تكف الخيزرانة أبدا عن قرعها أما هو فلا يكف أبدا بدوره عن الغناء .

عالم سحرى ملك لبه ، لم يعد من السهل بالنسبة له أن يرى عوضا عنه ، رؤى خاصة تفتنه وتسحره فما أشق ان يبخسها له



الاخــرون . هنا يحس الرجل بالغربة ويمده الواقع فى حركته باحساس المنبوذ .

لان الطبلة عاله ، كل عاله ، فينبغى ان تكون عالم ولده .

يقول له وهو يقوده معه الى احدى زفاته ، انت لا تتعلم ، انت تتفرج فقط ، لو مت انا غدا ، فممن سوف تتعلم هذه الصنعة ، افتح عينيك جيدا ، راقبنى الليلة كيف اعمل .

ولما لا يجد املا فى ولده ، يصيح فى امرأته يقول .. لماذا لا يريد هذا الولد ان يتعلم الصنعة ، لقد كانت صنعة ابيه وصنعة جده وصنعة جد جده ، فكيف يمكن ان يكون غبيا الى هذا الحد ، لقد صرت عجوزا على وشك أن أموت وابنك هذا لم يتعلم بعد كيف لا يسقط الطبلة من يده .

عاله ينهار حجرا وراء حجر ، مازال ولده عاجزا عن أن يتعلم الصنعة التى عشقها الآباء ، وتوارثوها جيلا عن جيل ، وها هى السيارات بنعيقها تزحف على أنقاضه هو مثل أفعى ، حتى صاحب المقهى الصديق يطلب منه أن يبحث لنفسه عن عمل آخر ، الكل يجمع على أن السيارات أفضل من زفاته ، ياليته كان رجلا آخر فى مثل صنعته ذلك الذى منع الناس عن استدعائه للأعراس .

ولما كان عالم الرجل ينهار لحظة بعد أخرى ، ولم يعد الجديد الزاحف مقبولا عنده ، فقد جاء يوم ذهب فيه الرجل دون أن يعود ، أما طبلته فقد ظلت قابعة فى العلية تنتظر .

وكما ظل الطبال فى قصة « عطش الأفعى » ينتظر ان يمده واقع الحياة من حوله بما يسنده ظلت مومس قصة « علبة زجاج واحدة » تنتظر بدورها حركة هذا الواقع نفسه من داخل احشائها .

— لماذا لا تشتغلين كالبقية ؟

— اشتغل ؟ كيف ؟

اسقطت يدها برخاوة وطأطأت راسها ثم أشارت الى بطنها . كانت حبلى . ويستمر السؤال

— كيف حدث ذلك ؟

— لست ادرى . عمره الآن ستة شهور كما اعتقد

— من هو أبوه ؟

دورت جسدها برخاوة دون أن تحرك قدميها ، وكانت ذراعها تشير باعياء حولها حيث كان الضجيج الأهوج لمئات من الرجال الجياع يدوى حولك بهيج وشبق ، وعبر تلك الاصوات الطبقة حولنا وصلنى جوابها واهنا

— ابوه ؟ انه هؤلاء

ويدور السؤال كالهذيان من جديد .

— انت اذن لا تشتغلين الآن ؟

ضحكت ، ثم هزتنى من كتفى بكفيها الرقيقتين ، وقالت .

— اشتغل ؟ كيف اشتغل ؟

اذن .. فلتنتظر ، ولتمد كفها الآن لتتسول .

واذا كان التسول بالنسبة لمومس قصة «علبة زجاج واحدة» هو تطور حتمى فى حركة واقعها، فان انتزاع الاشياء بالذراعين والكفين والاصابع عند عجوز قصة « ذراعه وكفه واصابعه » هو ايضا وبدوره تطور حتمى فى حركة واقعة .

واذا كان الخوف من الجوع هو الذى قاد المرأة الى العهر ثم قاد العهر ذاته الى التسول فان رجلا مثل عجوز قصة « ذراعه وكفه واصابعه » يرى أن الحياة ليست فقط غرفة وخادمة وملابس واكل لكفيل بأن يصل بنفسه الى نتيجة حتمية هى انه لكى يحصل على ما يريد يجب ان ينتزع الاشياء بذراعيه وكفيه واصابعه .

على ان الاستاذ محسن فى قصة « المنزلق » لم يستطع ان ينتزع شيئا بذراعيه وكفيه واصابعه ، بدأ تجربته الاولى فى عالم التدريس وهو يوقن تماما انه منزلق الى مستقبل قميء مترع بالضجة والسخف . لقد عاش حياته دون ان يعلمه انسان شيئا ينفعه ، فكيف يصير بوسعه ان يعلم الناس شيئا ينفعهم ، هو نفسه آمن أن المدرسة هى آخر مكان يتعلم فيه الرجل الحياة ، فما باله الآن وقد صار مدرسا .

من هنا يمسك غسان كنفانى بخيط التجربة وحتمى فى حركة الواقع ، ومع كل ما أحيط بعالم الاستاذ محسن من معوقات ، مدير فظ كل مهمته أن يتكلم من انفه ويقبض سلفا أقساط التعليم ، ثم ممرات طويلة مملوءة دائما بصخب

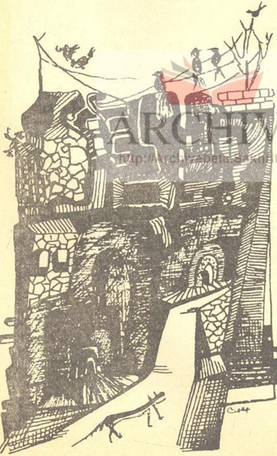
الاطفال وصياحهم ، مع كل ذلك فانه لم يكن أطفال صفه الموهوبين وصل بالأمر الى ما هو ثمة شيئا ملزما له أن يصل الى ما وصل ، لكن امتداد التجربة بعد ذلك ، وبالذات مع أحد جبرى وحتمى فى حركة الواقع ، أذ وجد الاستاذ محسن نفسه واقفا الى جوار تلميذه يسنده ويشد أزره وملتصقا به كأنهما معا شيء واحد .

لكن شيئا واحدا كان قد توصل اليه مدير المدرسة هو ان الطفل الصغير لابد به مس من جنون ، ولابد أن يكون الاستاذ محسن بدوره وتبعا لذلك قد مسه هو الآخر شيء من الجنون اذ اخذ المدير يراجع أوراقه بينما كان يرمق الاستاذ محسن والطفل بطرفى عينيه بين الفينة والأخرى .

على ان الامر كله لا يعدو أن يكون مجرد سخف من جانب مدير المدرسة ، تماما مثل قصة « لو كنت حصانا » لا يعدو الأمر فيها أن يكون أكثر من سخف خرافة .

يقولون ان الحصان الذى يحمل شامة حمراء على جسده يكون سببا فى مصرع انسان عزيز اذ انه يحمل دم ضحيته منذ ولادته . لذلك يجب ان يقتل قبل أن يشتد عوده .

هنا يبدأ خيط الاسطورة لينسجه غسان كنفانى مع الواقع الحى النابض مسهما فى القضاء



على سخف ظل يشل عقول الناس زمنا طويلا ، ويحصرهم الى عالم ضيق وخانق يسد علاقاتهم ببعض .

فى بادىء الأمر اراد صاحب الحصان ان يحطم الاسطورة فرفض أن يقتله ، قال ان الحصان من سلالة أصيلة ومن أجمل انواع الخيـل فى العالم ، لونه ابيض فضى وصاف ، عاش طول الوقت فى حظيرته ذكيا مطيعا دون ان يؤذى ذبابة .

بعد ذلك طلبوا منه أن يبيعه ، ان يتخلص منه بوسيلة ما ، على الأقل الا يعتلى هو صهوته ثم لا يدع غيره يعتلى صهوته ، لكن الرجل كان عنيدا فلم يفعل شيئا من ذلك .

الى أن كان يوم ، اعتلت فيه زوجته صهوة الحصان ، كانت امراة جميلة ذكية وعلى شىء كبير من الفطنة ، عاشا معا سنة انجبت له فى نهايتها طفلا .

حـدث الأمر فجاة ذلك اليوم ، القى بهـا الحصان من على ظهره بوحشية على شـاطىء النهر ، ثم حطم جمجمتها بحوافره وبقى يدفعها بقائمتيه الاماميتين حتى اسقطها فى النهر ، وهنا اطلق احدهم الرصاص فى دماغه .

وينمو الطفل ليصير صبيا فشابا ، ويحس بشىء ينمو معه ، شىء بينه وبين أبيه ، عداء سد من القطيعة يفصل بينهما . دائما يقول له ابوه ، لو كنت حصانا لقتلتك ، وهو بدوره دائما يتساءل ، لماذا يصر ابوه على هذه الجملة ، لماذا يدفن فى اعماقه دائما رغبة فى ان يقتله ، لماذا يتمناه بالذات حصانا .

ويصبح الشاب طبيبا ، اكبر طبيب فى المدينة

ذات ليلة ، كان الطبيب الشاب ينام فى غرفته حينما سمع صيحة ألم حادة تنبعث من غرفة والده ، فانطلق يصعد الدرج ثم اقتحم الباب ليرى والده يتلوى فوق الفراش ، ولم يحتج الى وقت طويل كى يكتشف ان التهابا حادا فى الزائدة يعذبه وانه قد يفجرها بين لحظة واخرى .

وفيما كان المرضون يقتادون الشيخ المريض فوق الحمالة الى غرفة العمليـات ، سـأل مستفسرا

ــ من الذى سيجرى العملية ؟

ــ احسن جراح فى المدينة كلها ، ابنك .

وينتفض الشيخ بعنف وهو يصيح :

ــ لا لا أى طبيب آخـر ، ولـكن ليس ابنى . أى جزار آخر ولكن ليس ابنى

ــ ان آلافا من العمليات مرت بنجاح تحت اصابعه

ويتشنج فوق الحمالة ، كان الألم والرعب يأخـذان معا بخنـاقه ، ويصيح وهو يقـاوم الغيبوبة بعنف .

ــ سوف يقتلنى ، سوف يقتلنى ، لا اريده ان يدخل غرفة العمليات حتى لو اراد ان يتفرج

اى هراء سخيف يخنق الناس .

اى كره ظل يحمله ابوه ثلاثين عاما .

اى ايمان صوفى بالخرافة يملأ النـاس الى اعماقهم .

ويجرى العملية طبيب آخر ، يخرج بعدها يرو للطبيب الابن حكايات مثيرة وعجيبة عـن أبيه ، يروى له كيف انطلق أبوه فى الحديث تحت تأثير المخدر ، فتحدث عن حصان أحبه كثيرا وعن زوجة احبها كثيرا أيضا ، وتحدث عن وشم احمر يحمله الحصـان ويحمل معـه دم ضحيته ، وكان يبكى وهو يقص حكاياته ويقول انه يتحمل مسئولية زوجته مناصفة مع الحصان .

هذه اذن القصة

الخوف وليس الكره هو الذى ظل يحمله ابوه بين جنبيه اكثر من ثلاثين عاما . بقعة بنية تميل الى الحمرة وتشغل جزءا كبيرا من جنبه الأيمن وظهره ، تماما كتلك البقعة التى شغلت جنب الحصان .

دم الضحية كما تقول الخرافة .

أبوه المسكين يخشاه لأنه يحمل منذ ولادته دم ضحيته على جنبه كما حمل الحصان دم امه سنوات قبل أن يلقى بها تحت أقدامه ، ثم يحطم جمجمتها ، ويدفع بها الى النهر .

هذا اذن ما عذب اباه ثلاثين عاما ، وجعله يتمنى لو كان ابنه حصانا كى يكون له حق اطلاق رصاصته فى دماغه .

سخف عاش فيه أبوه ثلاثين عاما .

ســد من الرعب منيع قام بينهما ، فكان قاسيا ورهيبا .

لم يجد ابوه تفسيرا يعينه على فهم امر هذه الشامة ، كمن وراء اللغز المحير طـويلا تملؤه الحيرة هو الآخر دون أن يجد ما يضىء له طريق تفكيره .

خسر ابى معركة الحصان ، وخسر شبابه معها ، فهل ادعه يخسر معركته معى .

ووقف ، ثم استدار ، واخذ يركض عائدا الى المستشفى .

فى كل هذه القصص وغيرها يحدث صدام بين البطل ولحظات الواقع ، والبطل فى كل قصة يتعثر ليقوم بعدها يصطدم بالواقع من جديد ، على ان اهم ما يميز هذا الواقع ان الانســان يعيشه كل يوم ، بل كل لحظـة ، وان هذه اللحظات ذاتها لحظات حياتية تبدو تافهة عند النظرة الاولى ، لكن الصدام المتكرر بينها وبين الانسان يكسبها عمقا ومأساوية .

وقد يصل الأمر بعمق المأساة الى ان تقترب كثيرا من مأساة هملت . قد يبدو واقع هاملت اكثر مأساوية ، وقد تعبر لحظات القهر لديه عن اسى اكثر عمقا ، غـير أن النظرة الهـادئة والمتأنية لواقع الانسان المعاصر لابد تكشف فى نهاية الامر عن مأساة لم يحدث أن تعرض لها الجنس البشرى على مدى التحول الكبير الذى طرأ على حضارته ، فمما لا شك فيه أن لحظتنا الحضارية الراهنة هى محصلة سنين طويلة من البحث والداب العظيمين ، وأن التقدم الهائل فى التكنولوجيا واستخدام اقمار صناعية فى خدمة البحث العلمى هو ثمرة ثمار فكر انسانى عمل وسهر طويلا .

على اننا لو استعرضنا تاريخ الانسان منذ بدايته لوجدنا انه لم يحدث ان تحولت امكاناته الفنية بسرعة مذهلة كما حدثت وما زالت تحدث خلال الخمسين سنة الاخيرة ، فمن اهم سمات تلك الفترة الحركة السريعة التى سارت ومازالت تسير بها ، وهى حركة من فرط سرعتها صار الانسان عاجزا عن تفسير امور كثيرة فأضحت الرؤية أمام عينيه اكثر تعذرا ، وتشــابكت الظواهر وتعقدت بحيث غشيت عينى الانسان ضباب كثيف حجب عن ذهنه الفهم السوى ، اعانه على ذلك انه لم يحدث فى مقابل التقدم التكنيكى وبنفس سرعته تقدم فكرى يمكن ان يذيب الضباب ليمد الانسـان بفهم شـــامل ومتكامل لكل ما يدور حوله . واكاد اجزم ان النقيض هو الذى حدث ، فبمثل السرعة التى سار عليها التقدم التكنيكى فى كل ركن من اركان الارض ، حدث خنق للكلمة فامتلأت السجون والمعتقلات برجال الفكر وانتشر الارهاب ليئد ارادة الانسان فى كل مكان .

هنـــا يكمن التناقض الذى يعيشــه عصرنا الراهن ، فالتقدم التكنيكى الذى أحرزه العصر نتيجة البحث العلمى لم يصـحبه تقدم فكرى مماثل يعين الانسان على أن يحتفظ بانسانيته فأكلته الآلة وطفت عليه طغيانا هائلا بحيث لم يعد من السهل عليه أن ينتزع نفسه منها ، ليعثر عليها من جديد .

وعلى النقيض من ذلك ، فان الرؤية لم تخن هاملت وهو يواجه واقعــه ، كان على علم تام بمأساته ، دائم الاحتكاك بصانعيها ، فاستطاع أن يواجهم أكثر من مـــرة ، يتوعدهم ويثيرهم ويخيفهم ومع ذلك فقد أخطأ هاملت كثيرا ، ولم يكن خطؤه مرجعه الى غمامية الرؤية عنده بقدر ما كان مرجعه الى اعمــاق نفســـه . كانت حساسيته تعذبه ، وتساؤلاته الكثيرة تثير فيه الشك والتردد ، فخرجت مأســاته عن دائرة حدثها الدرامى وان كانت نابعة منه يغذيها ، لكنها أضحت فى نهاية الامر مأساة بذاتها .

مثل هذه اللحظات الهاملتية لم تعد تعذب ونحن نسير ونتكلم ونضحك ، اما داخلنا فخواء وقبض ريح

وفى قصة « ذراعه وكفه واصابعه » رجل لم يعد يحتمل خذلانا جديدا لمجرد انه طلب شيئا فلم يستجب اليه احد ، فلما توصـل الى انه ينبغى أن ينتزع الاشياء بذراعيه وكفيه واصابعه رأى ما أذهله اذ ابصر قطا صغيرا لم يجد من يطعمه ، فراح يستنزف دماء قط ذكر كبير قابع فى هدوء يمنح فى بذل عجيب ما يريده القطيط الصغير .

أما قصة « الشاطىء » فتحكى لحظـــة وهن عند امراة عجوز لم تستطع أن تشهد حفل زفاف ابنتها البعيدة ، فلما ارادت أن تلحق بحفل زفاف

احدى صديقات ابنتها ، عجزت مرة اخرى .

وفى قصة « علبة زجاج واحدة » يحس الرجل المحروم بالشوق الى المرأة ، فلا يجد فى عالمه النائى سوى ماخورة نساء ، فلما يهم بدخول احداها يصطدم بامرأة مومس وحامل تتسول ولا تعمل ، فيدعها لشأنها ويذهب هو بدوره الى شأنه ينتقى بيتا هادئا يصب فيه متعته ، ليجد على باب البيت لافتة تعلن له وتقول «هنا بيت عمال» . ولم يكن ذلك خطأ ، كان العمال قد قبلوا السكنى فى هذا البيت القذر تحيط بهم العاهرات ، لانهم لم يجدوا غيره ، اما الرجال الملفوفون بشبقهم فكانوا يقرعون الباب الصغير الف مرة كل ليلة بحثا عن امرأة .

كل هؤلاء يصطدمون بالواقع من خلال لحظات حياتية عابرة ، فهم اذن ليسوا ابطالا نمطيين خلقهم المؤلف ثم جردهم من واقعهم . النقيض هو الصحيح ، فكل منهم حضر ، وكل منهم واجه الواقع من خلال لحظة متحركة . ولم يحدث أن عاق الكاتب حركة الواقع ، كما لم يحدث ايضا فى اية قصة من قصص تلك المجموعة ان افتقدت ومضات الضمير لدى الكاتب لحظة حضور بطل القصة معنا ، أو لحظة مواجهته لواقعه ، مما يؤكد ان غسان كنفانى ليس بالكاتب الذى يعوق حركة الواقع ، ولا هو ممن يعممون أو يتخذون أبطال قصصهم انماطا ميتة يعلنون عن منحاه الفكرى ورؤيته هو الى الأمور .

على ان غسان كنفانى قد جرد قصصه من المكان . وفى تقديرى ان تجريد القصة من مكانها أملته ضرورة فنية احس بها الكاتب وهو يتحدث عن أزمة الانسان المعاصر ، فالمأساة التى عمقت جذورها رأسيا ، وشملت كل ركن من اركان الارض افقيا لم تعد تحدها مدينة او قرية ، ولم تعد تحدها حدود سياسية او طبيعية . ففى كل مكان ذلك الطائر الحبيس ، وفى كل مكان ذلك الطبال الذى لم يجد فى السيارة بديلا لزفاته ، وفى كل مكان تلك المرأة العجوز التى تخطىء مرادها كثيرا ، حتى الزرازير فى هذه القصة الأخيرة ليست مكانا مقصودا لذاته ، لكنها تعبير عن صعاب لم يستطع احتمالها وهن امرأة عجوز .

ولما كانت الضرورة تحتم على الكاتب الا يبرز شيئا سوى معالم الانسان وهو يواجه واقعه فانه ليس ثمة ما يدعوه فنيا الى أن يبرز معالم المكان فى القصة سواء كان ذلك قرية أو مدينة ، شاطئا أو مجرى نهر ، فهو كله عالم واحد نبتئس فيه .

ولما كان الابتئاس هو تطور حتمى فى حركة الواقع عند الانسان المعاصر ، فان الحلم يصير تبعا لذلك بديلا لهذا الابتئاس ، اذ يلجأ الانسان اليه مستعينا بالوهم والخرافة ومضيفا اليهما. وهنا يمتزج الحلم بالواقع فى تناقض ينخر روح الانسان ، فيلغى عقله البكر الخلاق .

هكذا كان الشكل الذى جاء عليه معظم هذه القصص . امتزج الحلم فيها بالواقع امتزاجا حتمه المضمون الفكرى الذى حملته ، فغشيتها ضبابية فى تقديرى ان الكاتب ما كان بوسعه أن يتجنبها .

ففى قصة « عطش الافعى » تمتزج حادثة السيارة فى حلم الصبى الصغير وهو راقد تحتها والدماء تسيل منه بالسيارة الرمز التى بدا ابوه يقف منها موقفا عدائيا لانها طغت على عمله كطبال .

وفى قصة « الشاطى » امتزج فى ذهن الراهب الشاب شيئان ، قطة صغيرة كان يتتبعها بعينيه وهى تحاول تعبر البركة الصغيرة بينما يستمع هو فى ذات الوقت الى امرأة عجوز تقص عليه قصة عجزها الذى واجهته مرتين .

غير أن هذا المزج بين الحلم والواقع قد منح بعض القصص اسلوبا حيا متدفقا بغنائية حلوة فهى كلها لحظات وان كانت تصب أخيرا فى تساؤلات كثيرة وتثير قضايا مجردة ، لكنها تنبع كلها ايضا من معين واحد هو النفس البشرية ، أو ما يمكن أن نسميه داخل الانسان. الانسان المعاصر كما عذبت من قبل امير الدنمرك

اعماق هاملت اذن هى التى كانت تعذبه وتشقيه ، أما ما يعذب الانسان المعاصر ويشقيه فهو الواقع الخارجى بما فيه من حركة سريعة فى التكنيك مصحوبا بالطغيان الرهيب للآلة ومن يمتلكون ادوات القهر دون ان يكون فى مقابل



ذلك حركة سريعة ومماثلة فى الفكر تعيد التوازن الى طبيعته ، وتقف فى وجه صانعى الارهاب تحد من أرهابهم وتسهم فى ارساء الكلمة وأعادة بناء الانسان .

وفى تقديرى أن تناول قضية الانسان المعاصر تناولا فنيا من خلال لحظات صغيرة لا تتضح فيها معالم المأساة للوهلة الاولى لهو أمر يتطلب من الفنان درجة عالية من المهارة فى استخدام أدوات فنه .

ولقد كان تشيكوف أول من تطلع الى اللحظة العابرة فى حياة الانسان ، بل أول من تعدى حدود هذه اللحظة العابرة ، ورأى بحدسه الفنى ، والنفاذ الذى تتميز به بصيرته مأساة الانسان من خلال هذه اللحظات العابرة الصغيرة . وخير مثل على ذلك لحظة السعال عند بطل قصة « موت موظف » . كانت هى النبتة الاولى للمأساة لديه ، وكما تنمو كل نبتة صغيرة تحيط بها عوامل النمو لتصير فى نهاية الأمر شجرة مستكملة الفروع والأغصان، هكذا نبتت لحظة السعال عند الموظف الطيب، فبدات تنمو حدثا وراء حدث تغذيها هذه الأحداث ذاتها ، ثم تنسجها فى بناء متراص متين لتصير فى نهاية الأمر مأساة مكتملة النمو تنتهى فى بساطة بموت الرجل .

لم تبدأ قصة تشيكوف بحدث مأساوى ضخم ، لكنها بدات بسعال انتشر رذاذه على قفا رجل راح يمسحه وهو يثور ويرغى ويزبد. وتتوالى الأحداث الصغيرة فى القصة لتغذى الحدث الاول وتسير به الى مصير يكاد يكون حتميا فى حركة الواقع لتصل به فى نهاية الأمر الى قمة تطور درامى يمكن أن يحدث .

من هنا راح فن تشيكوف يؤكد ان اللحظة المعاشة فى حياة الانسان المعاصر غنية بحركة الواقع ممتلئة بشحنات متدفقة وحية وجديرة باهتمام كل ما يملكه الفنان من حس وبصيرة وحدس وذوق واحساس عارم بمواطن الجمال.

أقول ذلك لا لكى أؤكد لنفسى أن غسان كنفانى قد اقتفى فى قصصه أثر تشيكوف ، اذ لم يستطع قصاص واحد معاصر يكتب القصة القصيرة أن ينجو بنفسه من ملمس تشيكوف وطابعه ، غير أننى أقول ذلك لكى أؤكد حقيقة أدبية أنه كلما عاش الفنان عصره والتصق به كلما كان أكثر تعبيرا عن واقع هذا العصر والعصر الذى يليه ، فليس يكفى أن فليس يكفى أن يعيش فنان فى القرن العشرين

ليعبر عن واقع القرن العشرين لكن المهم ان يعيش الفنان عصره يشربه ويتمثله عقلا ووجدانا ، ثم يروح ينفذ من خلال هذا كله الى واقع جديد يكتشفه هو من قبل أن يتعرف على ملامحه ملايين الناس .

ذلك ما فعله غسان كنفانى فى كثير من قصص المجموعة ، ترك ابطال قصصه يعيشون عصرهم ويلتصقون بلحظات واقعهم نافذا من خلال هذا الى اعماق الانسان نفسه .

وفى رأيى أن غسان كنفانى يعيش عصره ملتصقا به يتمثله ، فجاء فنه معبرا عن واقع هذا العصر وملتصقا بدوره به ، وهو لم يصل الى ذلك عبر فواجع كبرى وانما من خلال قوى متصارعة للحظات حياتية عابرة عاشها ابطال قصصه ومازالوا الى الآن يعيشونها .

فى قصة « جدران من الحديد » كل منا هذا العصفور الحبيس ، وكل منا يروح ويجيء داخل قفصه يحاول أن ينطلق من القيد ، فلما لايستطيع يبدأ يحتضر بطيئا بطيئا الى أن يموت

والموت فى هذه المجموعة ليس هو الموت بالفهم المأساوى المباشر ، فلا يشغل غسان كنفانى نفسه بقضية الموت على هذا النحو الميتافيزيقى، لكن الذى يشغله هو الموت الناجم عن ارتطام الفرد بحركة واقعه ، ثم احساسه بالقهر ازاء هذا الواقع ، وعندما يحاول أن يواجه الأمر بجناحين جسورين يرتطم بجدران الحديد .

جدران الحديد اذن هى التى تشغل فن غسان كنفانى ، فكل منا حبيس هذه الجدران ، وكل منا حاول مرة ومرات ان يحطم قيده ، فاصطدم بالقهر ينبعث منه ومن خارجه . ذلك هو الموت الذى يؤسينا ، موتنا ونحن احياء ، تمنحه مذاق الشعر . يقول وهو يصف واقع الرجال الذين يعملون بعيدا فى اماكن نائية فحرموا من متعة لقاءاتهم بالمرأة . « لم ننم ليلتها . كنا نلوك املا واحدا ونحن نعانق عرقنا فى الفراش الساخن غدا سنصل اليها . نرتمى بين ذراعيها . عيناها بئران لايتعبان من الارواء. شفتاها كرزتان فى كف بدوى محروق . نهداها وسادتان محشوتان بأحلام طرية . »

وفى قصة « ذراعه وكفه واصابعه » يصف قطا صغيرا فيقول « اسود الشعر كالليل ، اخضر العينين كالربيع . »

ومرة اخرى فى قصة « عطش الافعى » يصف امتزاج زيت السيارة الأسود بدم الصبى القانى وهو قابع تحتها فيقول « كان اللسان الأسود يزحف مثل افعى صغيرة نحو البحيرة الحمراء كى يشوب منها . »

وفى موضع آخر من نفس القصة يعقد مقارنة بين صوتين يقول « صوت أبيه من نحاس : اما هذا فصوته من قطن . »

واذا كان هذا المزج بين الحلم والواقع هو الذى مد معظم القصص بتلك الضبابية التى اشرت اليها فان طعم الشعر الذى مدها به نفس هذا المزج قد حد من درجة هذه الضبابية ، فنفذت من خلالها شفافية حلوة عذبة ازاحت من امامها بعض كتل الضباب .

على أن هذا الضباب لم ينحسر كله ، فبدا كرؤية الانسان المعاصر كستها غمامية رقيقة صبغت حياته بلون من الحزن رقيق هو الآخر، ثم اغرقته الى اعماقه خلال لحظات طويلة من التأمل .

واذا كان معظم القصاصين حين يضمون قصصهم فى كتاب يتخذون من عنوان احدى هذه القصص عنوانا للكتاب نفسه ، فان غسان كنفانى لم يفعل ذلك . وفى رأيى أن « عالم ليس لنا » الذى اتخذه الكاتب عنوانا لمجموعة قصصه انما يعبر عن خط رئيسى للحن حزين يردده دائما انساننا المعاصر .

وعندى ان غسان كنفانى لم تخطئه الرؤية كثيرا وهو يعبر عن مأساة الانسان المعاصر ، ذلك لانه من خلال هذا الحزن الشفاف فى كل قصة ينفذ بصيص من نور ، طاقة أمل لا ينضب معينها أبدا .

واذا كنا هنا نبنى مجتمعا مشعا ومشرقا بالعدالة وكفيلا بالقضاء على اسباب الضبابية وعوامل المأساة فان غسان كنفانى فى رأيى لم يعلن عجز الانسان عن أن يفعل ذلك ، بل بدا فى كل قصة من قصصه شفافا فى حزنه نافذا من خلال هذه الشفافية الى عالم افضل وداعيا فى صدق فنى الى ايجابية الانسان وهو يواجه واقعه .

سمعان اسكندر

« ٠٠ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » ٠٠٠

كنت أحب أن تكون هذه الكلمات المحكمات هى أول ما يقع عليه بصرى من كتاب (حيوانات المزرعة) الذى قدمه الى المكتبة العربية الدكتور محمد يحيى حسين درويش الاستاذ بكلية الزراعة بجامعة أسيوط ، فآيات القرآن هى خير ما يستهل به الكاتب والقارىء قراءته ، خاصة والكتاب الذى بين أيدينا يتناول موضوعا ما أيسر الاستشهاد فيه وما أجمله ، وهو كتاب موضوع لا مترجم مما يجعله أكثر التصاقا بمجتمعنا وذوقنا ٠٠

وفى مقدمة الكتاب الموجزة يقول المؤلف تمهيدا للموضوع : « يعتبر الانتاج الحيوانى شطرا رئيسيا من الانتاج الزراعى بما له من آثار بعيدة المدى فى تغطية احتياجات الانسان من حيث الغذاء والملبس ، علاوة على أهميتها الكبرى فى الدخل القومى للبلاد » ٠٠ الى أن يقول « وبالنظر الى النهضة الكبيرة التى تمر بها الجمهورية العربية المتحدة فى نواحى العلوم المختلفة ، وبالنظر أيضا الى قلة المراجع العربية فى علوم الانتاج الحيوانى فاننى أتقدم بمؤلفى هــذا وهو كتاب (حيوانات المزرعة) الذى يشمل مختلف أنواع الانتاج الحيوانى وكذا طرق الرعاية والتناسل لأنواع الحيوانات الزراعية ٠٠ »

ولا حاجة بنا الى المزيد من القول فى أهمية تنمية الانتاج الحيوانى الى جانب تنمية الانتاج النباتى فى بلد كبلدنا غنى بثرواته الاحيائية ، وقد عرف أهلوه الزراعة واستئناس الحيوان قبل غيرهم من الامم ، بل انهم كانوا أسبق الامم فى هذا المضمار كما تشهد بذلك معروضات القسم المصرى بالمتحف البريطانى بلندن ، وجدير بهم أن يحتفظوا بأسبقيتهم وتفوقهم عن طريق التطوير والتحسين المبنى على الاسس العلمية ٠

ويتألف الكتاب من واحد وعشرين فصلا أو بابا ، القليل منها يعالج موضوعات عامة كالباب الاول الذى يتناول التوزيع الجغرافى للحيوانات الزراعية ، وتاريخ استئناسها وأسس تربيتها ، والبابين الاخير وقبل الاخير الذين يتحدث فيهما المؤلف عن التناسل فى الحيوانات الزراعية وما يتعلق به من شرح لتركيب الجهاز التناسلى فى الجنسين وما تفرزه هذه الأجهزة من هورمونات ، وفعلها الفسيولوجى ٠٠ الخ ، ولو جمع المؤلف

تنمية الثروة الحيوانية



عرض وتحليل : د. عفيفى محمود

هذه الأبواب التى تتناول الاسس والعموميات فى أول الكتاب لكان خيرا فعل ..

أما سائر أبواب الكتاب فتتناول فى تفصيل واسهاب مجموعتين رئيسيتين من الحيوان الزراعى هما : حيوانات اللبن وحيوانات اللحم ، مع ما يتصل بكلتا المجموعتين من موضوعات لابد من الالمام بها وسيأتى ذكرها فى مواضعه المناسبة ـ وذلك باستثناء باب واحد (هو الباب التاسع عشر) الذى يجمل الحديث عن حيوانات العمل والركوب (الخيل والبغال والحمير والجمال) .

والحقيقة ـ كما أشار المؤلف ـ أن الحيوان الزراعى فى بلادنا حيوان متعدد الاغراض بحيث يصعب تطبيق هذا التقسيم تطبيقا دقيقا ، اذ تستعمل أغلب أنواع الماشية كحيوانات لحوم والبان بدرجة متساوية ، كما تستعمل الماعز والاغنام كحيوانات لحوم بصفة رئيسية وكحيوانات ألبان بصفة ثانوية (وقد يزداد الاهتمام بها كمصدر للألبان فى بعض المناطق الصحراوية حيث يقل العلف اللازم للماشية) . وحتى الجمال (وهى أساسا حيوانات ركوب) تستعمل فى البادية كحيوانات ألبان ، كما يشيع أكل لحمها بين الطبقات الفقيرة .

الا أن التطور اللازم لزيادة الانتاج وتوفير مصادر الغذاء والكساء يحتم علينا أن نلتزم نوعا من التخصص فى تحديد أغراض تربية الحيوانات الزراعية ، وهذا يستدعى تحويرا فى طرق رعاية هذه الحيوانات وتربيتها حسب الغرض الذى تخصص له ، بحيث تتبع أحسن طرق التسمين بالنسبة للحيوانات التى تخصص لانتاج اللحوم ، وأفضل الطرق التى تزيد ادرار

تأليف
د. محمد يحيى درويش

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
٤٥٦ صفحة
٢٤×١٧ سم

اللبن بالنسبة للحيوانات المخصصة لانتاج الألبان ، وهكذا أيضا بالنسبة لحيوانات الصوف والشعر والفراء وليست طرق الرعاية الغذائية وحدها هى المسئولة عن انجاح هذه الأهداف ، اذ لابد فى بعض الأحوال من استخدام ما توصل اليه علم الوراثة من حقائق لانتاج سلالات أكثر ادرارا للبن وأخرى أوفر لحما وأجود ، أو سلالات تجمع بين الفضيلتين ، الى آخر ما تستدعيه طبيعة احتياجاتنا من دراية بأحدث الاكتشافات العلمية وطرق تطبيقها بما يتمشى مع ظروفنا البيئية وخصائص ثروتنا الحيوانية ·

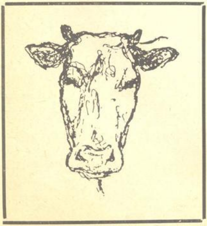
وليس من الانصاف أن ندعى القدرة على احاطة القارىء بمحتويات كتاب كهذا يقع فى أكثر من خمسين وأربعمائة صحيفة ، اذ لابد للقارىء من أن يطلع بنفسه على الكتاب ليصل الى ضالته المنشودة من المعرفة بما يهمه من حقائق ، غير أن هذا لا يمنع من أن نقدم عرضا لبعض فصول الكتاب ، نخص منها ما يتناول حقائق جوهرية ، سواء ما يعمق وعى المزارع العادى بما لا غنى له عنه من جوانب تطبيقية ،أو ما يوسع نطاق معرفة محبى الثقافة من معلومات أساسية أو ما يجذب انتباه الدارس المتخصص من اتجاهات حديثة فى البحوث العلمية ·

● ففيما يخص عامة المزارعين ومربى الماشية يهمنا أن نقتطف من الكتاب هذه المعلومات :

١ ـ **نموذج حيوان اللبن :** الجسم غير مكتنز ـ الصدر والبطن عميقان واسعان ـ الضرع كبير ممتد متدل ، الشكل العام مثلثى ـ عظام الحوض متسعة ـ واللبب قصير ، الرقبة أطول وأنحف والرأس أصغر من حيوان اللحم · (الباب الثانى) ·

٢ ـ **الجاموسة هى حيوان اللبن الاول فى بلادنا** : ويكون انتاج الجاموس ٧٠٪ من مجموع الانتاج الكلى للبن فى مصر ، ولبن الجاموس اغنى من اللبن البقرى فى المركبات البروتينية البانية ، ونسبة الدهن فيه أعلى بكثير وقد تصل الى ١١٪ ـ والجاموس المصرى يتفوق على الماشية





الأجنبية (مثل الفريزيان) فى كمية منتجاته من السمن والجبن وجودتها، وهى طول حياته الانتاجية ـ الماشية المحلية عموما أكثر تحملا للتغيرات البيئية وأكثر مقاومة للامراض المستوطنة كالسل وحمى الحافر (الباب الرابع) .

٣ ـ **معلومات هامة عن الحظائر :** هيئتها وموقعها وحجمها وتصميمها وما يلزمها من تهوية واضاءة ومياه شرب وغسيل ، نظام المجارى فيها ـ نظافتها وتطهيرها (الباب الحادى عشر) .

٤ ـ **رعاية مواشى اللبن :** أنواع الاعلاف الخضراء والجافة ، والمركزة والمصنعة والمحتويات الغذائية لكل نوع ، طرق اعداد الدريس والسيلاج (البرسيم الأخضر المضغوط) ـ تطمير الحيوان وتحميمه ـ العناية بالضرع، طريقة التخلص من لماشية النافقة (الباب العاشر) .

٥ ـ **تربية العجول :** التلقيح ، تشخيص الحمل ، العناية بالحوامل ، معرفة ميعاد الوضع ـ العناية بالبقرة وقت الوضع وبعده ، اختيار العجول الصالحة للتربية ـ الأحوال التى يمكن فيها ارضاع العجل صناعيا وشروط ذلك وطريقته ـ ضرورة تعويد العجل ابتداء من عمر ثلاث أسابيع على تعاطى الغذاء الجاف تدريجيا لامداده بالألياف اللازمة لنمو معدته كحيوان مجتر ، الخلطات المكونة لهذا العليق الجاف ـ تغذية العجول بعد الفطام (الباب التاسع) .

٦ ـ **الحلب وادرار اللبن :** تنظيف الضرع ، التحنين ، شروط الحلب اليدوى ، ما يجب عمله فى اللبن بعد الحلب من تصفية وتبريد .. الى ان يصل الى السوق (الباب الثامن) ـ الامتناع عن الحلب قبل اسبوع من الولادة الا فى حالات احتقان الضرع ، ما يعترى اللبن بعد حلبه من تغيرات وما يمتصه من روائح (الباب الخامس) .

٧ ـ **ماشية اللحم :** خصائصها ، تسمينها ـ الخصى : طرقه وموعده وأثره على جودة اللحم ـ السن المناسب للذبح ، صفات الذبيحة الصالحة ، خصائص اللحم الجيد (الباب الثانى عشر) .

٨ ـ **رعاية الاغنام :** رعى الاغنام ـ تغذيتها والعلائق الصالحة لتسمينها فى مختلف مراحل نموها ـ رعاية الحملان ـ قطع الذيل (طريقته وفائدته) ـ جز الصوف ـ تسويق الاغنام وما يلزمه من دراية بفحص الأسنان كوسيلة دقيقة للتسنين (الباب الخامس عشر) ـ منتجات الأغنام من صوف ولحم (الباب السادس عشر) .

٩ ـ **الماعز :** مواصفاتها الاقتصادية ـ خصائصها ـ أنواعها فى مصر ـ منتجاتها (الباب السابع عشر) .

١٠ ـ **حيوانات العمل والركوب :** خيول الجر وخيول الركوب : أنواعها وخصائصها ورعايتها ـ البغال والحمير : احتياجاتها الغذائية ـ الجمال : تناسلها ورعايتها (الباب التاسع عشر) .

● وفى باب المعلومات التى تهم طلاب الثقافة والمعرفة العامة ، نقتطف من فصول الكتاب هذه الحقائق :

١ ـ مكونات اللبن الرئيسيـــة : هى الماء (حـوالى ٨٥) والدهن (من ٤ ـ ١١٪) وعدد من المركبات البروتينية (حوالى ٤٪) وسكر اللبن أو اللكتوز (٥٪) وعدد من الفيتامينات الذائبة فى الماء (أكثرها توافرا حمض البانتوثنيك ثم الريبوفلافين) والفيتـــــامينات الذائبة فى الدهن (أكثرها توافرا فيتامين أ ، وفى حالة اللبن البقرى : الكاروتين واليه يرجع اصفرار اللبن) ، وبعض الخمـائر ، والاملاح (وخصـوصا البوتاسـيوم والكالسيوم) • وتستخدم للحكم على جودة اللبن عدة اختبارات تتنـاول الوزن النوعى ونقطة التجمد ودرجة الحموضة ، (الباب السادس وفيـه أيضا طريقة تقدير نسبة الدهن فى اللبن) •

٢ ـ الماشية فى مصر : تمتزج فيها التراكيب الوراثية للأبقار الهندية والأوروبية وهذا يظهر واضحا فى تفاوت أحجامها وخصائصها الشكلية • والماشية الدمياطية أكثرها انتاجا للبن ، والمنوفية أكفؤها للعمل ، وذلك خاضع لطبيعة المناطق التى توجد بها واحتياجات الزراعة فيها • (الباب الثالث) •

٣ ـ ماشية اللحم : يتأثر نموها بعوامل مختلفة وراثية وبيولوجيـة وفسيولوجية وبيئية وباثولوجية ، وقابلية الحيوان للتسمين تتأثر بعوامل أخرى كالسن والنوع والصفات الوراثية • (الباب الثانى عشر) •

٤ ـ عملية الخصى فى العجول : تؤدى الى زيادة القدرة على التحويل الغذائى وتحسين خصائص اللحم من رخاوة ونعومة وتناسق فى النمو ، وتأخيرها عن الاسبوع العاشر من نمو العجل يؤدى الى مضـاعفات غير محمودة (الباب الثانى عشر) •

وقطع الذيل فى الحملان يؤدى الى توزيع الدهن بين أليـاف اللحم وارتفاع معامل التحمل الحرارى وان كنا لا نلجأ اليه فى مصر لاننا نعتبره دليلا ملموسا على جودة الحيوان ولو أنه يعوق التلقيح (البـــاب الخامس عشر) •

٥ ـ الماعز : أكثر مقاومة للامراض وقدرة على التواؤم مع الظروف البيئية والطوبوغرافية من الأغنام ، وكفاءتها التناسلية أعلى ، ولها أهميتها الخاصة فى البلدان النامية من المناطق الحارة والتى لا تسمح امكانياتهـا الزراعية بتربية الأبقار (الباب السابع عشر) •

(**تعليق صغير** : الماعز من الحيوانات المتلفة للزراعة لميلها الى أكل أى شىء يصادفها ، والبدو فى منطقة سيناء كثيرو الشكوى منها) •

٦ ـ البغال : الناتجة من تزاوج حمار بفرس أكبر حجما من تلك الناتجة عن تزاوج حصان بحمارة • ومعروف عن البغال عموما قدرتها على تحمل مشاق العمل ورداءة التغذية ، وسهولة قيادتها ومناعتها ضـــد الامراض •

٧ ـ التناسل فى الحيوانات الزراعية : يكون محددا بفصل معين من السلالات البرية ولكن استئناس الحيوانات يتيح لها فرصة تكرار دورات التناسل على مدار السنة (الباب الحادى والعشرون ، وبه معلومات شائقـة عن دورة الشبق فى الاناث واطوارها وعلاماتها ، والهورمونات المنظمـــة

لها وما يعترى المبيض أثناءها من تغيرات) ، وفيما يخص الذكور فهى تستطيع التزاوج طوال العام فيما عدا الجمال التى تتميز بوجود فصل هياج تصحبه علامات سلوكية وشكلية واضحة .

٨ ــ **العقم فى الحيوان** : كما فى الانسان له أسباب مختلفة منها المرضى والفسيولوجى والتغذوى والوراثى ، ولكل نوع من العقم ظواهره وطرق علاجه (الباب الحادى والعشرون) .

وأما البحوث التى تهم الدارسين المتخصصين فلها أيضا نصيبها من اهتمام الكاتب ، ولعل أهمها بحوث التهجين الخاصة بانتاج سلالات ذات صفات وراثية معينة ، مع الاشارة الى أهمية التحسين الوراثى للماشية ، وما يحتاجه ذلك من تطبيق نتائج البحث العلمى ، ويوصى المؤلف بالتركيز على الجاموس المصرى ودراسة احتياجاته الغذائية وطرق تحسين تكاثره وصفاته ورفع كفاءته الانتاجية نظرا لما أسلفنا ذكره من مميزاته ... وكذلك أشار المؤلف الى ما اجرى من دراسات وبحوث محلية على لحم الجاموس المصرى (الباب الثانى عشر) ، والى تجارب ادخال السلالات الاجنبية من الماشية (كالفريزيان والجرسى والشورتهورن) الى مصر ومدى ما قدر لها من نجاح والعوامل المؤثرة فى ذلك (الباب الثالث عشر) ... والى البحوث التى أجريت فى الخارج على زيادة التبويض صناعيا فى اناث الماشية الجيدة الصفات (وذلك بحقنها بخلاصة الغدة النخامية أو مصل الفرس الحامل) ، وتجارب نقل البويضات المخصبة وزرعها فى اناث اخريات بعد احداث الشبق فيها صناعيا ، وما تهدف اليه تلك البحوث الجريئة من زيادة انتاج السلالات المتفوقة وراثيا .

هذا عرض موجز لكتاب « حيوانات المزرعة » ، وهو اضافة مثرية للمكتبة العربية ، وبودنا لو اتبعه المؤلف بكتاب عن الدواجن ، وهى طائفة هامة من الحيوان الزراعى أغفلها المؤلف تماما من كتابه الذى بين أيدينا ــ ربما لطبيعتها الخاصة ووضعها المستقل فى عالم الحيوان ــ ولقد كان من الممكن مثلا أن تحتل من الكتاب مكانا كالذى خصصه المؤلف للخنازير (الباب الثامن عشر) ، فهى ألصق بمجتمعنا واحتياجاتنا من الخنازير .

أما وقد تعذر هذا ــ لما اشرنا اليه من مبررات مقبولة ــ فكان من المفيد أن يختم المؤلف كتابه بفصل أو أكثر عن امراض الحيوانات التى تناولها فى كتابه ، والوقاية منها ، وبيطرتها ... وهى جوانب وثيقة الصلة بموضوع الكتاب الذى يبدو بدونها غير تام الفائدة .

وقد لاحظنا فى الكتاب تردد المؤلف فى استعمال بعض المصطلحات التصنيفية التى انتهت المجامع العلمية العربية من تحديد مرادفاتها العربية منذ زمن غير قريب ، كاستعماله كلمة (نوع) فى مقابل Breed (والصواب سلالة) ، وكلمة (عائلة) في مقابل Family (والصواب فصيلة) ، وكلمة (صف) فى مقابل Class (والصواب طائفة) ...

وكنا نحب أن نغض النظر عن بعض الأخطاء اللغوية لولا تكرارها فى صفحات الكتاب بدرجة تجعلنا لا نستطيع القاء عبئها على المطبعة وحدها .

دكتور/ عفيفى محمود

أخبار الكتاب العربي في العالم

يقدمه مدير التحرير

● قال **الدكتور ثروت عكاشه** نائب رئيس الوزراء للثقافة فى بيان حكيم :

أصبح مكان المثقف والفنان وسط الصفوف . فى **القلب تماما من المعركة** .

لم يعد الفنان ذلك العبقرى الفرد الذى تعدو وراءه الجماهير ، تحاول ــ وهى تلهث ــ أن تتبين كنهه .

أصبح واحدا من الناس ، يعيش بين الناس . **واصبح** بهذا أكثر قوة ، وأعمق مادة ، وأكثر أصالة .

وليس هذا موقفا جديدا على الفنان والمثقف فى بلادنا ... فى تاريخنا : سامى البارودى وعبد الله النديم وسيد درويش وطه حسين ومختار . كلهم تبنى قضية المجتمع الذى عاش فيه ، وعبر عنها وامتشق السيف أو القلم أو الازميل فى سبيلها .

ولكن الجديد أن أسطورة الفنان الطويل الشعر ، الذى يبحث عن الالهام ويجده بين الكاسات أو فى الجلسات أو فى الغرف المغلقة.. هذه الأسطورة قد انتهت الى الأبد بما تحمل من تعريض ضمنى بالفنان بوصفه عاجزا أو غافلا أو غير مسئول .

أصبح الكاتب والفنان الآن انسانا سويا ، شديد الحساسية حقا ، ولكنه فى الوقت ذاته شديد الاحساس بتبعاته .

ويوم اندفع الكتاب والفنانون والتشكيليون والممثلون والموسيقيون والمغنون والشعراء فى جماعات كبيرة يؤيدون بلادهم ويدافعون عنها ابان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . كانوا فى الوقت نفسه **يعرنون انتهاء عهد الفنان الفرد الذى يعيش لذاته** ويشيرون الى بدء عهد جديد : **الفنان فيه خالق وقائد معا ، يعبر عن ذاته وعن مجتمعه فى كل واحد لا يتجزأ** .

واليوم يجىء التهديد الاستعمارى لبلادنا ، والثقافة والفن فيها أعز منزلة وأقوى أثرا مما كانا .

بفضل الثورة زادت **المعجزات الثقافية واتسع أثرها** ، وأصبح للمثقفين مكاسب واضحة يهبون مخلصين للدفاع عنها ... هذه المكاسب تتمثل فى **وطن حر قوى ، يؤمن بالصناعة والثقافة معا** ، ويسعى الى **اقامة صرح كبير يستند الى الدعامتين** .

من أجل هذا الصرح الكبير ــ صرح الحياة الجديدة الواعية المتدفقة ــ نضع نحن الفنانين والمثقفين قلوبنا وعقولنا ومواهبنا جميعا فى المكان الذى تنتمى اليه حقا وعدلا : **قلب المعركة** ..

نفعل هذا تعبيرا أصيلا عن ذواتنا كفنانين ومثقفين .

نفعله تعبيرا فنيا فى الوقت ذاته الذى هو فيه تعبير سياسى أيضا .

نفعله شاكرين للظروف أن أتاحت لنا أن نرتفع فوق ذواتنا ، وأن نستقبل الموجة العريضة بقلوب وصدور أعرض منها .

نفعله واثقين أن بناء المجتمعات والدفاع عنها هو فى حد ذاته عمل فنى كبير ، ما أسعدنا جميعا أن تدعونا الأحداث أن نضع فيه ما يعتمل فى قلوبنا من حب واحترام لكل عمل كبير .

●

هذا هو البيان الحكيم الذى وجهه **الدكتور ثروت عكاشه** بيانا لكل عربى فى كل أرجاء الوطن العربى ، وهو تستجيب اليه كل القلوب الخفاقة بحب هذا الوطن ، المؤمنة بحقها العادل أمام موجة الكفر بهذا الحق من جانب قوى العدوان والبغى .

● يقول **الأستاذ السيد محمد يوسف** وزير التربية والتعليم فى تقديمه لكتاب « **أعلام الفكر الاسلامى فى العصر الحديث** » للمرحوم **أحمد تيمور** :

« من الآمال التى تراود المصلحين من العرب المحدثين اظهار الجهود العلمية العربية ، والقاء الأضواء الكاشفة عليها ، ليبين فضلها فى تأسيس ثقافة العالم الجديد ، وتنمية حضارته ، اعتزازا بتراثنا الفكرى الخالد ، وزادا لبعثه واحيائه ، وتسجيلا للدور القيادى الذى اضطلع به العرب فى دفع عجلة العلم ، وحث الركب الثقافى والحضارى ، ورفع المستوى الفعلى والخلقى والاجتماعى ، وهداية المجتمع الانسانى الى أنبل الغايات وأشرف المقاصد » .

والكتاب الجديد الذى نشرته « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » أخيرا يضم تسعين ترجمة لنخبة من رجالات العلم والأدب والدين والاصلاح فى مصر والشام والعراق والحجاز وتونس والجزائر والمغرب فى العصر الحديث ممن عاصرهم العلامة أحمد تيمور واتصل بهم .

ويقول **الأستاذ محمد عبد الغنى حسن** فى الدراسة التحليلية التى عقدها عن هذا الكتاب أن مؤلفه لم يؤثر أهل طبقة واحدة ، ولا صناعة واحدة . فلم يجعل كتابه وقفا على تراجم الشعراء وسير الأدباء ، بل وسع فيه المجال للعلماء والفقهاء واللغويين والمفسرين والمحدثين ورجال التصرف ورجال الاصلاح وزعماء الجهاد وخطباء الثورات ، فجاء بذلك سجلا حافلا ... وانه قد أسعفنا فى تراجم الرجال بمن يعز علينا أن نجدهم فى مصدر آخر .

● ومن البلد العربى الذى تخفق له قلوب العرب جميعا « **فلسطين** » برز عالم لغوى جليل هو « **خليل السكاكينى** » الذى أحب اللغة العربية وولع بها منذ نعومة أظفاره ، واتصل بها اتصالا مباشرا فمارس التعليم فى فلسطين ومصر ، وكان مفتشا للغة العربية فى مدارس فلسطين الحكومية وكان يؤمن بالمدرسة على نظم مبتكرة ، وبأسلوب الحوار والمناظرة ، لتكون أداة للنهضة الحديثة والاصلاح ، فأنشأ مدرسة (الدستورية) عقب اعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ ، وشارك فى تأسيس مدرسة (النهضة الثانوية) فى القدس وبقى يديرها حتى حلول النكبة فى فلسطين . وقد اختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكان كما يقول **الأستاذ الجليل خلف الله أحمد** مدير معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية وعضو مجمع اللغة العربية : « باحثا جرىء الفكر ، واسع الأفق ، مستقل النظر ، ينقد ويوازن ويضع اصبعه على المشكلات ، ويتصدى لرسم الحلول لها ، ويعتمد على التجريب فى منهجه التربوى » .

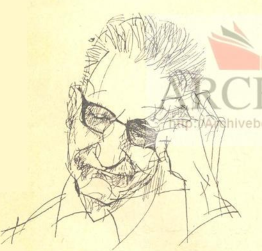
عن هذا العالم اللغوى نشر هذا المعهد فى سلسلة الرسائل والبحوث رسالة « **خليل السكاكينى اللغوى** » التى وضعها **الأستاذ عصام محمد الشنطى** بقسم الدراسات الأدبية واللغوية بالمعهد الذى يقول عنه الأستاذ مدير المعهد : « وكان طبيعياً كذلك أن ينتدب لهذا البحث مواطنه الباحث عصام محمد الشنطى الذى لمحنا فيه ــ نحن أساتذة القسم ــ منذ التحاقه بالمعهد جدا فى الدرس ، ونضجا فى التفكير ، واقداما على معالجة القضايا الأدبية واللغوية ، واستجابة للروح الجديد فى المعهد ، روح البحث والنقاش والتعاون العلمى .

وقد قال **الأستاذ الدكتور اسحاق موسى الحسينى** رئيس قسم الدراسات الأدبية واللغوية انه أعجبه فى البحث ثلاثة أمور : أولها تحديد الموضوع واقتطاعه من موضوع واسع ، **وثانيها** اطلاع الباحث على جميع ما نشر للسكاكينى وما كتب عنه ، **وثالثها** كسره البحث على أبواب ثلاثة واستخلاصه ما يتصل بكل باب .

● ما ان انتهى **الأستاذ الشاعر العوضى الوكيل** من كتابه « **العقاد والتجديد فى الشعر** » الذى نشرته له « **دار الكاتب العربى للطباعة والنشر** » حتى بدا فى وضع كتاب جديد عنوانه «**على السفود بين الرافعى والعقاد** » كاد أن يدفعه الى المطبعة .

« وعلى السفود » كتاب كان قد جمع فيه المرحوم مصطفى صادق الرافعى مقالات نشرها منذ قرابة خمس وثلاثين سنة فى مجلة «العصور» تناول فيه شعر العقاد بالنقد ، ولكنه نقد خارج عن مقاييس النقد وأصوله ، وهو أقرب الى الشتم والتجريح منه الى النقد البرىء .

وقد قدم الأستاذ العوضى الوكيل لكتابه بصورة عاجلة **للعقاد** من سيرته ومن مؤلفاته ومن أقوال مؤرخيه ، وصورة أخرى **للرافعى** من سيرته أيضا ومن مؤلفاته ومن أقوال مؤرخيه ، ثم صورة للكاتبة **مى زيادة** وندوتها باعتبارها عاملامشتركا بين الرافعى والعقاد فى الخصومة التى قامت بين الرجلين .



ثم رسم صورة للجو الأدبى والسياسى فى العشرينات وأوائل الثلاثينات ليبحث فى جذور المعركة بين العقاد والرافعى منذ مسابقة النشيد الوطنى سنة ١٩٢١ حيث نقد نشيد الرافعى فى كتاب « الديوان » الذى أصدره العقاد والمازنى حتى « وحى الأربعين » وهو ديوان العقاد الذى

نقده الرافعي ، ثم تناول كتاب « على السفود » بالتحليل والبحث وراء أسباب كتابته مستقيا ما قدمه من معلومات من وثائق ومستندات ·

وفى خلال الكتابة عن العقاد وأقوال الكتاب عنه تناول بالنقد ماكتبه الأستاذ فتحى رضوان عن العقاد فى كتابه الذى ظهر أخيرا بعنوان « عصر ورجال » ·

● كنت قد أشرت فى العدد الثانى والثلاثين من هذه المجله الصادر فى شهر يناير سنة ١٩٦٧ الى الجهد الجديد الذى بذلته « **دار احياء الكتب العربية = عيسى البابى الحلبى وشركاه** » فى سبيل الرسالة التى حملتها على عاتقها لخدمة الثقافة الدينيـة الى جانب ما تخدم به الثقافه الادبية ، وذلك حين نشرت « **السيرة النبوية** » فى أربعةأجزاء مستخلصة من كتاب «**البداية والنهاية**» فى التاريخ **لابن كثير** الامام ابى الفداء اسماعيل ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ · وقد قام باستخلاصه من كتاب التاريخ الأستاذ **مصطفى عبد الواحد** · ثم عاد فاستخلص قسما آخر منه أدمج فيه ابن كثير ثلاثة أنواع أفردها العلماء من قبل التأليف وهى : الشمائل ، دلائل النبوة ، الفضائل والخصائص · ونشرت هذه الدار هذا القسم فى مجلد واحد باسم « **شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه** » ·

● منذ سنوات **والدكتور عبدالله درويش** الأستاذ بكلية دار العلوم فى جامعة القاهرة معنى بتحقيق أول معجم فى اللغة العربية وهو معجم « **العين** » الذى وضعه رائد هذا الفن الامام اللغوى **الخليل ابن أحمد الفراهيدى** المتوفى سنة ١٧٥ هـ · وكان اختفاء مخطوطة هذا المعجم حقبةطويلة من الزمن مثارا للقيل والقال حول كتاب وحول حقيقة مؤلفه بالمعنى الكامل للتأليف حتى ساعده الحظ على اكتشاف المخطوطة أثناء اقامته فى لندن لاتمام رسالة الدكتوراه ، وتجمع له بعد ذلك ثلاث مخطوطات فقام بتحقيق المعجم ولقى من « **المجمع العلمى العراقى** » الموقر معاونة فى نشر هذا المعجم « وظهر الجزء الاول منه فى بغداد · ولعل الزمن لا يطول فى نشر بقية أجزائه ليظهر مع « **تهذيب اللغة** » للأزهرى الذى نشرت «**دار الكاتب العربى للطباعة والنشر**» معظم أجزائه ، و « **المحكم** » لابن سيده الذى نشط «**معهد المخطوطات**» بجامعة الدول العربية فى نشر بقية أجزائه ·

● كنت قد أشرت الى ظهور **الجزء الأول** من **كتاب سيبويه** » بتحقيق **الاستاذ عبد السلام هارون** ، ونشير هنا الى أن « **دار الكاتب العربى للطباعة والنشر** » قد أوشكت على الانتهاء من طبع **الجزء الثانى** ، وسيظهر هذا الكتاب فى أربعة أجزاء مزودا بالفهارس الفنية التى تعين الباحث على الافادة من مواده ·

● كما أن هذه الدار أيضا قد انتهت من طبع **الجزء الأول** من «**خزانة الأدب**» للبغدادى بتحقيق **الأستاذ عبد السلام هارون** أيضا ، كما أشرنا من قبل حين شرع فى تقديمها للطبع · وسيشرع فى طبع **الجزء الثانى** ·

● وتقوم الآن « **شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده** » بنشر طبعة جديدة من معجم « مقاييس اللغة » الذى ألفه أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وقد نهج فيه منهج ابن دريد فى رد الألفاظ الى الأصول التى أشتقت منها ، ولكنه توسع منه وتعمق . وكان هذا المعجم قد ظهر فى طبعته الأولى عن « دار احياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى وشركاه » فى ستة أجزاء ؛ وذلك بتحقيق **الأستاذ عبد السلام هارون** أيضا .

ولعل الاستاذ عبد لسلام هارون يشفع هذا المعجم بتحقيق معجم آخر لابن فارس وهو «المجمل» حيث لم ينشر منه الا الجزء الأول ، ولكنه بحاجة الى تخريج نصوصه وشواهده .

● وقد انتهت هذه الدار من طبع **الجزء السادس** من كتاب «**الحيوان**» **للجاحظ** فى طبعته الثانية التى امتازت باضافات فى التعليق والتحقيق ، زادها فيها الأستاذ هارون . وبدىء فى طبع الجزء السابع .

● قام **الأستاذ الدكتور مراد كامل** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحقيق كتابين فى الفروسية وهما من التراث العربى :

أولهما : كتاب « **الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية** » الذى ألفه محمد بن منكلى نقيب الجيش فى عهد سلطان مصر الأشرف شعبان (سنة ٧٦٤ – ٧٧٨) وهو فى فن القتال فى البحر وقد قسمه الى ١٢٢ بابا فى السفن الحربية وآلاتها وحركاتها والرمى بالمدافع والزراقات .

والآخر : كتاب « **العز والمنافع للمجاهدة فى سبيل الله بالمدافع** » تأليف الريس ابراهيم بن أحمد ، غانم محمد بن زكريا الأندلسى الشهير بالمعجام ، وقد فرغ منه سنة ١٠٤٨ هـ . والكتاب مزود بالرسوم والصور وفيه حيل حربية .

ومما روى من الحيل أنهم كانوا يطلقون على السفن رغوة الصابون ثم يضربونها بعد ذلك بالمدافع فلا يستطيع ملاحوها الحركة والصعود لما يصيبهم من التزحلق .

● دخلت « **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** » (مجلة المجمع العلمى الاعربى سابقا) فى عامها الثانى والأربعين فصدر من هذا المجلد جزآن من أربعة أجزاء يتألف منها المجلد .

وقد خدمت هذه المجلة اللغة العربية : آدابها وعلومها ، أجل خدمة فى هذه الحقبة الطويلة ، بما نشرته وتنشره من بحوث قيمة لأعلام الباحثين شرقيين مستشرقين . ذلك الى جانب عدد كبير من كتب التراث التى حققها العلماء فى اللغة والأدب والتاريخ أو التراجم .

ولقد افتتح الجزء الأول من هذا المجلد بمقال للعلامة الجليل **الاستاذ الأمير مصطفى الشهابى** رئيس المجمع عنوانه «**من مشاكل لغتنا العربية**» تناول فيه بخاصة مشكلتين هما أهم هذه المشاكل اتخاذ الوسائل الناجعة لجعل لغتنا صالحة فى يسر للتعليم الجامعى وللتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة ، ثم توحيد المصطلحات العربية فى معجم أعجمى – عربى تعول عليه الاقطار العربية .

ونشرت المجلة فى الجزءين اللذين صدرا القسمين ١٦ ، ١٧ من التعدات الواعية التى يتابع

نشرها **الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب بعنوان نظرات فى المعجم الوسيط** وهى نظرات صائبة يجب الأخذ بها عند اعادة طبع هذا المعجم .

ونشر فى الجزء الثانى « **ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة** » كتبها الدكتور **على جواد الطاهر** وكانت المجلة قد نشرت فى الجزء الرابع من المجلد الحادى والأربعين كلمة **للأستاذ الأمير مصطفى الشهابى** تضمنت ملاحظات قيمة على هذه الموسوعة أيضا .

● جاء فى «**الميثاق**» ان الحملة الفرنسية على مصر « جاءت معها بالأساتذة الكبار ، الذين قاموا بدراسة أحوال مصر وبالكشف عن أسرار تاريخها القديم » .

هؤلاء الأساتذة هم الذين تكون منهم فى ٢٠ أغسطس سنة ١٧٩٨ أول مجمع علمى فى القاهرة أطلق عليه اسم «**المجمع العلمى المصرى**» . وكان يضم على غرار شقيقه الأول « مجمع فرنسا العلمى » أربعة أقسام : قسم الرياضيات ، قسم الطبيعة قسم الاقتصاد السياسى ، قسم الآداب والفنون الجميلة . وعقد جلسته الأولى فى بيت حسن كاشف ، أحد أمراء المماليك ، بحى الناصرية (دار المدرسة السنية الآن) . وفى سنة ١٨٠١ رحل الفرنسيون عن مصر وبقى « المجمع العلمى المصرى » وانضم الى عضويته طائفة من كبار العلماء المصريين أمثال : محمود الفلكى ومحمد مجدى وعلى مصطفى مشرفه وعلى ابراهيم وأحمد زكى وأحمد كمال وأحمد عيسى ، ممن انتقلوا الى الرفيق الأعلى .

ومنذ ثلاثة أشهر أجرى انتخاب جديد لمجلس ادارته : الدكتور محمد كامل حسين رئيسا ، والدكتور حسين فوزى والاستاذ دوماس (الفرنسى) نائبى رئيس ، والدكتور مراد كامل أمينا عاما ، والدكتور محمود حافظ أمينا للصندوق والمكتبة .

ويعقد المجمع جلساته شهريا بانتظام من شهر نوفمبر الى شهر مايو ، ويلقى فيه علماء مصريون وأجانب محاضرات من شأنها توطيد العلوم ونشر ألويتها . وقد أدخلت بعض تعديلات فى أقسامه الأربعة فأصبحت : قسم الآداب والفنون الجميلة وعلم الآثار ، قسم العلوم الفلسفية والسياسية ، قسم العلوم الطبيعية والرياضيات ، قسم الطب والزراعة والتاريخ الطبيعى . وللمجمع مائة وخمسون عضوا موزعون على هذه الاقسام ؛ منهم خمسون عضوا عاملا ، وخمسون عضوا منتسبا فى الخارج ، عدا خمسون عضوا مراسلا بعضهم فى مصر . وله مكتبة فى مقره بحديقة وزارة الاشغال تعد من أغنى مكتبات مصر اذ تضم ٤٠ ألف كتاب عدا النشريات الدورية .

ويقوم بنشر نتائج البحوث والمحاضرات فى مجلة سنوية الى جانب مطبوعاته التى ينشرها وهى مؤلفات قائمة بذاتها . ويتبادل مطبوعاته بطريق التبادل مع ثلاثمائة جمعية علمية فى أنحاء العالم .

وأخلد عمل علمى قام به هذا المجمع فى تاريخه الطويل هو كتاب « **وصف مصر** » الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية وكانوا أعضاءه . الأول . وأصدر حتى الآن ٦٧ رسالة ، وهى بحوث جامعة فى موضوعات شتى .

فقد أصدر فى **علوم الآثار** : ثلاث رسائل فى التخطيط (١٩٠٦ ، ١٩١١ ، ١٨٢٩) ، ورسالة عن الموانى المصرية المندرسة (١٩١٦) ورسالتين فى تاريخ نهر النيل (١٩٢٢ ، ١٩٢٥) تقعان فى ٧٥٠ صفحة ، ورسالة عن النظم المالية فى مصر منذ عهد الفراعنة (١٩٢٤) ، وعن النظم الادارية فى مصر من هيرودوت حتى الفتح العربى (١٩٣٥)



ورسالة عن فن الوشم فى مصر الفرعونية(١٩٤٨) ورسالة عن النباتات الشائعة فى مصر القديمة (١٩٥٠) ، وثلاث رسائل فى الآثار المسيحية فى مصر وفلسطين (١٨٨٩ ، ١٨٩٨ ، ١٩٣٩) ، وثلاث رسائل فى الآثار الاسلامية (١٨٨٩ ، ١٨٩٧ ، ١٩٠٠) ، ورسالة عن نقوش طورسينا (١٩٣٤) .

وأصدر فى **العلوم الانسانية** : رسالة عن القصص الشعبية فى بلاد النوبة (١٨٨٩) ، ورسالة عن اعمال السحر (١٨٧٩) ، ورسالة عن موت سقراط(١٨٩٩)ورسالة عن ارتفاع الاسعار فى القاهرة ارتفاعا تدريجيا طوال القرن التاسع عشر (١٩٠٧) ، ورسالة عن التراجم الواردة فى كتاب المنهل الصافى (١٩٣٢) ، ورسالة عن مكانة مصر فى عصور ما قبل التاريخ (١٩٤١) ، ورسالة عن جابر بن حيان (١٩٤٢) ورسالة عن تاريخ الافكار العلمية فى الاسلام (١٩٤٣) ورسالة فى النظم الحكومية خلال عصور التاريخ المصرى (١٩٤١) ورسالة عن قصص الثعابين فى مصر القديمة والحديثة (١٩٤٧) ، ورسالة فى محتويات مكتبة حلب فى القرن الثالث (١٩٤٦) ، وثلاث رسائل فى الفنون الرفيعة المصرية والشرقية (١٩٤٣ ، ١٩٦١ ورسالة فى الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية (١٩٦٥) .

واصدر ست رسائل فى **جيولوجية مصر** (١٩١٣ - ١٩٣٧) ، ورسالة فى **مقياس النيل** بالروضة (١٩٤٨) .

وأصدر فى **علم النبات** : ثلاث رسائل عن النباتات المصرية (١٨٨٩ ، ١٩٠١ ، ١٩٥٨) ، ورسالة عن نباتات بلاد الشام (١٩٣٦) .

وفى **علم الحيوان**: ٢٠رسالة تتعلق بالطفيليات المصرية والرخويات المصرية والرخويات السورية والحيوانات الفلسطينية والحيوانات المشترة الافريقية والحيوانات البحرية المصرية . وقد توالت هذه الرسائل العشرون بين شتى ١٨٨٩ - ١٩٣٩ .

وأصدر فى **الطب وتاريخه والطب الشعبى** : خمس رسائل فى السنوات من١٩١٩ - ١٩٦٦.

وقد نفد اكثر هذه الكتب وبلغ ثمن الكثير منها أرقاما خيالية،وذلك لحرص العلماء والمكتبات على اقتنائها . وقد جرى المجمع فى السنوات الأخيرة على اضافة ملخص باللغة العربية الى جانب الأصل الافرنجى .

ولكن الذى نأمله هو أن يعاد طبع النادر من هذه الرسائل **ونقله الرسائل جميعها الى التربية حتى تعم الفائدة منها ، ويتولى كل عالم مصرى ترجمة كل مادة منها حسب تخصصه .**

حسن كامل الصيرفى



تيارات في المجلات والصحف

يقدمها
جمال بدران

- إن النقد والنقد الذاتي من أهم الضمانات للحرية ...
- إن الثورة ليست عملية هدم أنقاض الماضي، ولكن الثورة هي عملية بناء المستقبل « الميثاق »

الكلمة العربية ..

هاقد آن لنا أن ننطق بكلمتنا ، معبرة عن ارادتنا ، نابضة بمشاعرنا وتطلعاتنا ، راسمة طريقنا ، عاقدة العزم على اختيار مصيرنا ، تجدد

العهد على تلاصق الأكتاف وشحن الصدور ، تردد الصيحة بشحذ الهمم ، بسرعة الخطى ، بتوقيت الشهيق ، برصد كل خفقة وحساب كل نقطة عرق .. لنحدد بها امكانات التقدم الى الطريق .

آن لنا أن نحسم بكلمتنا نحن امرنا .. فنرفض أو نأذن ، ونحذر أو ننذر ، ونصمد فلا نرتد أو نتردد . لنواصل السعي بعدئذ الى اختراق الطريق ، لكن الطريق طريقان .. أحدهما صاعد الى العالم أجمع ، وثانيهما يلف نارا بربوع أوطاننا .. وكلمتنا بين الطريقين ، قد ظلت تتأرجح .. أى الطريقين تختار ، وما كانت لها هذه الصلاحية أو أمكان الاختيار .. لأنها كانت مسلوبة الارادة ، تتولى تشكيلها وضبطها . كلمات وفدت الى كلمتنا العربية بالسنة عجماء ، وفكريات منحرفة أو بالية .. لذا فان كلمتنا كانت شاحبة شوهاء ، تتساند حروفها المتهالكة ، وتستند الى شقشقات فارغة .. واذا ما اصطدمت بصلابة الصدق او حتى ادعاءة باطلة .. تبددت ـ تلك التى كانت كلمتنا ـ لأنها لم تكن جياشة بصدور حملة الأقلام ـ الأقلام العربية ـ لحما ودما .. انكمشت داخل الجدران وبين أطماع التجار ـ تجار المناصب ومحترفى السياسة .. فلا عجب ان كانت جوفاء .. غلفت بالتنميق الحرفى ، وطنطنت بغنائية الايقاع .. دونما حماسة حقيقية أو حياة عميقة . ومن ثم كانت كلمتنا عن فلسطين بذلك الاسلوب .. استحلاب للكلمة من غير تذوق .. وكأن اللسان قد قطع ، ولوك للكلمة بدون تفسير .. وكأنها أقرب للاجترار لا للنطق .

... حتى ضاعت الكلمة الحبيبة .. فلسطين .. بين الاستحلاب وبين الاجترار . وها قد آن لنا أن نفيق .. نعى .بما نقول ونوقن بما نعمل ونؤمن بما لا بد أن يكون .. لنبدد حجب الضباب ، ونستعيد عروبة فلسطين .. لنضمد الجراح ونأخذ بثأر المذابح فى دير ياسين ويافا وحيفا وخان يونس وكفر قاسم .. فى كل فلسطين .

هاقد أصبحنا سادة الموقف ، أصحاب الكلمة .. على الصعيدين .. بفضل صلابة الكلمة وقائلها ، بفضل العزم والاصرار على العمل منذ حدثت المأساة ، بفضل ثورتنا على الانحلال والاحتلال ، بفضل الزعامة الجديدة الرائدة ، والارادة الحديدية الواعدة ، والقدرة الرشيدة على قيادة السير فى الطريقين ـ القومى والعالمى ، لنصرح بكلمتنا .. ويصغى لها العالم .. كلمتنا العربية .. سلمت يامن قلتها ، ودمت للعرب يامن منحتها فاعليتها وروحها .. يا عبد الناصر .

وقد تبعت الكلمة العربية الثائرة كلمات .. حارة .. تتفجر بالعزم والتأييد ، من ها هنا .. من قلب شاعر .. من ها هنا .. من دم الثائر القادر ...

من هاهنا ، من أرض ابطال المغارب والمشارق
من حيث زحف ابن النصير ، ومرغم الاعداء طارق
من أرض ليث الريف ، من أرض الجميلات الشقائق
من أرضك البيضاء ، لتبك الخناجر بالمواثق
كيلا يصيب تراك ما قد حل بالأرض السليبة
لبيك ياصوت المعارك : فى الشمال ، وفى الجنوب!
فى قمة الجبل الأشم ، وساحل العرب الغضوب
لبيك فى حوض الخليج : من الشعاف الى الدروب
واصل كفاحك ، ان يومك لاح بالنصر القريب
لتعيد امجادا : هنا ، وهناك فى الأرض السليبة

معذرة فقد انستنى كلمات النار ، من أطلقها .. انه صقر بن سلطان الهاشمى بمجلة ..

الإذاعة والتليفزيون

معذرة .. فنحن فى ساحات القتال تنهال الطلقات من كل صوب ، لكل قلب

أنا لا أعرف أى الكلمات
يطلقها أصحابك فى الأزمات عليك
ساعة تعتزمون الأمرا
انا لا اعرف نوع الخاتم فى يدك اليسري

أو كيف تغنى حين يطل البدر من الجهة الأخرى
من حيث الأسلاك تكاد تسل العين ..
وتنتهك السرا
لكنى أعرف ما معنى اصرار يديك
ان تجعل من فحم الليل شموسا
فى ليلتنا الكبرى
يامسرح قنديل ليالينا عطرا
من عينيك صباحى .. من عينيك
فاشدد من زندك .. تشجع
أطلقها كالرعد
يا انبل وجه لم اعرفه بعد
يا انبل كف صيغت من كف الله

انه خطاب زمالة .. خطاب اخوة وطن .. رفقة سلاح .. سلاح القلم من الشاعر كمال عمار الى كل جندى على خط القتال .. سلاح القلم فوق سطور من جريدة .. **الاهرام** .

الاهرام

سلاح من أجل من ؟ .. ولأى هدف ؟ .. من أجل الحق وتصويب التاريخ ، لاحلال الصورة الاصلية محل الزيف والمسخ ، لاحلال الحاضر محل كل محاولة لمد مؤامرات الماضى الى المستقبل .. أن بدر الديب يقول فى جريدة **الجمهورية**

الجمهورية

« انهم فى أيامهم هذه لا يصنعون غير المؤامرة ونحن مع يوم نصنع التاريخ . لقد امتدت فى الأمة العربية كلها شرايين الوحدة مليئة بدم الهدف الواحد والمصير المشترك والقيادة الوحدة .. اننا نحس بنبض له معنى جديد للبترول تحت الارض العربية . ونستشعر لمياهنا على كل شاطىء عربى دلالة جديدة تلقن أصحاب المؤامرة درسا جديدا . ومن منطق الحق ومنطق السلام سنغلق العقبة والسويس امام كل عدوان وستجتمع القوات العربية على الخطوط الأمامية فى سيناء وسوريا والأردن .

ولكننا لا نصنع التاريخ فقط على حدودنا وفى قلب امتنا بل نصنعه للعالم كله . ان موقفنا ووقفتنا تساهم فى ابراز التناقضات القائمة بين الشعوب والحكومات الرجعية سواء فى منطقتنا او فى العالم الغربى بل وفى أمريكا نفسها . ان وقفتنا ستساعد تيارات التطور الاجتماعى التحررى داخل كل بلدان العالم ، وستساهم مساهمة فعالة فى تغيير أوضاعها الاقتصادية والطبقية . اننا نصنع التاريخ على أكثر من مستوى ولن يستطيعوا الا ان يصنعوا مؤامرة .. »

فهل نسمح بامتداد آثار الماضى ومؤامراته .. كى تمر الى مستقبلنا ؟ لا .. وألف لا ... تلك مهمتنا الحاضرة .

المجـــلة

أسمع نداء يحيى حقى بمجلة **المجلة** .. الى وطنه ومواطنيه .. « لم تعد الأمة العربية اليوم مثلها بالامس . فقد تحررت ، وتوثق رباط من الاخوة والتساند بين أعمدتها الرئيسية بفضل تشابه القوى التقدمية فيها ، وعما قليل ستحقق الوحدة الشاملة ، هذه هى حقائق آن الأوان لأن يراها ويعمل حسابها هذا الاستعمار الجديد الذى لا يزال تسانده بعض من الدول الكبرى ، كأنما تبنى هى الأخرى حسابا مغلوطا على انقاض حساب مغلوط . انتهى عهد الاستهانة بالأمة

العربية وعدها هملا لا يؤبه له فى ميزان القوى ، انتهى عهد نهب خيراتها واستغلال هذه الخيرات فى محاربتها واذلالها واضطهادها ، انتهى عهد التشكيك فى قدراتها على الفعل وهى اليوم على افعال كثيرة لقديرة، هذا هو العدل الذى تطالب به يا وطنى ، لا منحة ولا تكرما .

وفى هذه المجابهة اليوم بين الامة العربية وعدوها ومن ورائه أنصاره ليست المسألة مسألة دول أو حكومات بل مسألة المواطن العربى أينما كانت أرضه . ينبعث من قلبى نداء اليه ، نداء أخ لأخيه .. أن يدرك اللحظة التاريخية الحاسمة التى تمر بها أمته ، وأن يحشد كل قواه الروحية والمادية لمناصرتها والاشتراك فى الزحف المقدس ضد المغتصب الدخيل . ولا بد أن ننتصر . »

نعم لا بد أن ننتصر . بالمبادرة الفورية ، باليقظة الساهرة ، بالنضال الذى لا يكل ولا يمل .. بثورتنا الدائمة .. وما أصوب قول لطفى الخولى بمجلة ..

الطليعة

الطليعة .. بعد ان اتضحت مزايا المبادرة الثورية من مواقف القيادة الثورية المصرية .. تلك السياسة الصائبة الحاكمة التى التزمتها فى حركتها الدائبة نحو التقدم واستخدامها لمصلحة قوى الشعب العاملة فى عملية البناء الاشتراكى . ووضعتها فى خدمة الاهداف القومية فى معركة التحرر والوحدة العربية ، فانه فى استطاعة القوى الثورية العربية أن تستفيد من الخبرة المكتسبة فى هذا المجال وأن تستند الى سياسة مماثلة فى نضالها الوطنى والتحررى ضد الاستعمار والرجعية . الا أن مفهوم المبادرة المدروسة المعتمدة على تقديرات موضوعية سليمة وحسابات علمية يختلف عن اتجاهات التهور والاندفاع العاطفى دون ضوابط أو حدود . وافتقاد عنصر المبادرة الذى نلمسه فى قطاعات من الحركة الثورية العربية راجع الى طبيعة القيادات المنتمية أساسا الى البورجوازية الصغيرة والمثقفين والى انعزال بعضها عن القاعدة الشعبية العريضة من العمال والفلاحين ، مما يعرضهم لأمراض التردد والتهادن والحلول الوسط والاتجاهات التوفيقية التى تضع القوى الرجعية فى مراكز القوى والتأثير والفاعلية .. »

حقا .. ان المبادرة الثورية المتواصلة هى التى ستقضى على اسرائيل وعلى كل محاولة لاحيائها .. ستكتم أنفاسها ، ستخمها الى الأبد .. ان فتحى خليل يؤكد فى مجلة ..

روز اليوسف .. قائلا .. « حق التنفس لاسرائيل !

على حساب من يعطى لاسرائيل حق التنفس ؟

على حساب السيادة المصرية !

ذلك هو منطق بلطجية العالم الحر .. منطق البيت الابيض الذى يحاول اقناع العالم بأنه يحارب فى فيتنام للحق والحرية ومنطق ويلسون الاشتراكى المزيف .

حق التنفس لاسرائيل تثار له ضجة وتجرى له أساطيل مذعورة . أما حق شعب فلسطين المشرد فى الأرض فان الدفاع عنه يكون تعكيرا لصفاء العالم ..

هذا هو العدل الرأسمالى والاستعمارى .

وأصدقاء اسرائيل يصرخون بأن حق التنفس هذا لو حرمت منه اسرائيل تكون معذورة اذا

غامرت بالحرب كدولة ضاق صدرها واختنقت انفاسها ..

ونحن نقول لهم هذا هو حق اسرائيل الوحيد .. حقها فى الانتحار فى البحر او فى الصحراء . حق وحيد لا نجادلها فيه .. لن يكون هناك طرف فى جدال .. ستكون هناك جثة كائن كان فى الأصل شائها .

وكان أسمه اسرائيل ...

لقد دخلت اسرائيل حربا تآمرية ضدنا مع بريطانيا وفرنسا . وردت على أعقابها . وكان اغلاق خليج العقبة آخر صفعة تلقتها تأديبا على حربها التآمرية ذيلا لغيرها .. وفى الحالتين ستلقى مصيرها النهائى .. مصير طبيعيا لوجود مصطنع . »

ان الوجود المصطنع لا يمكن أن يصمد امام تقدم التاريخ ، امام التطور العربى ، أمام الحشود وعت ، أمام البناء الطبيعى للانسان العربى الثائر .. مستحيل ان تطفىء حشرجات زوبعة وافدة لهب الأنفاس الصامدة الرابضة .. مستحيل ان تقتطع حفنة من طريدى الشعوب حقالنا ..

وحفنـــة من طــريدى كل مملكة
لهم على الوطن المزعوم تنعاب

من كل بائع أخراه بعســـجده
وتاجـر بربـاه حـار حســـاب

وكل ذى حرفة يندى الجبين لها
يتيه فخرا اذا ما يذكر العـاب

مشوا على أرضه كالطفح منتشرا
على خدود العذارى الأسل واجتابوا

تاهوا . وضلوا ، وآبوا من متاهتهم
يؤملون ، وهم للوهـم طلاب

عجبت للقوم : اطمـــاع مفـرقة
قد ضمها لاغتيال الشرق آراب

ابن البتول الطهورالحى قد نسيت
آلامه ، وتناسى الغدر اصـلاب

تحالفت عصـــبة منهم يقـودهم
عاد على الحـــق نهـاز ووثاب

تحالفت وفلول الغدر ، وائتمرت
فالضد للضد أنصـار واحبـاب

موسى وعيسى بـراء من شرورهم
فمالهم فى اصول الخير انســاب

خليفــة من « يهوذا » فى دمائهم
والعرق للاصـــل دساس وجداب

معذرة مرة أخرى لحسن كامل الصيرفى شاعر هذه السطور من قصيدته «شريعة الغاب » .. فاننا جميعا فى ساحة الحرب لا تبدو الا اسنة الرماح .